مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٥

هيرمينوطيقا اللمس عند ريتشارد كيرني (١٩٥٤-)"

قراءة في كتاب "اللمس .....استعادة حواسنا الأكثر حيوية"(*)

ملخص:

تتناول هذه الدراسة رؤية الفيلسوف الأيرلندي "ريتشارد كيرني" (١٩٥٤-) حول ما أسماه "أزمة حاسة اللمس في عصرنا الرقمي"، كما عرضها في كتابه *اللمس: استعادة حاسّتنا الأكثر حيوية* .وتنطلق الدراسة من مفارقة جوهرية مفادها أنه، رغم اعتمادنا المتزايد على اللمس في تفاعلاتنا اليومية مع الشاشات والأجهزة الرقمية، فإن اللمس الجسدي الطبيعي آخذ في التراجع والاختفاء من حياتنا المعاصرة، مما يؤدي إلى نوع من "الإقصاء الجسدي" المتغلغل في مختلف مظاهر الحياة. وفي مواجهة هذا الواقع، يسعى كيرني إلى إعادة تشكيل فهمنا لحاسة اللمس، بوصفها وسيلة أساسية لفهم العالم والوجود. وفي هذا السياق، هدفت الدراسة إلى تحليل آراء كيرني من أجل إبراز

(*) ريتشارد كيرني **Richard Kearney**: (١٩٥٤-): فيلسوف وكاتب وروائي ايرلندي، ويشغل حالياً منصب أستاذ كرسي "تشارلز سيلج" ، قام بالتدريس في العديد من الجامعات مثل جامعة دبلن، والسوربون، وجامعة نيس. تخرج بمرتبة الشرف الأولى في الفلسفة في دفعة بكالوريوس الآداب عام ١٩٧٥ في جامعة دبلن، وأكمل درجة الماجستير في جامعة "ماكجيل" مع الفيلسوف الكندي "تشارلز تايلور"، ودرجة الدكتوراه مع "بول ريكور" في جامعة باريس، تبادل المراسلات مع "جان بول سارتر" و"جاك دريدا" وغيرهما من الفلاسفة الفرنسين المعاصرين. كما كان ناشطًا في وسائل الإعلام الأيرلندية والبريطانية والفرنسية، وشارك في صياغة عدد من المقترحات لاتفاقية السلام في إيرلندا الشمالية في الفترة من (١٩٩٥-١٩٨٣)، ويشغل حالياً منصب المدير الدولي لمشروع سجل الضيوف- استضافة الغرباء بين العداء والضيافة. كما نال العديد من الأوسمة والجوائز كان أحدثها حصوله على ميدالية إيرلندا للأبحاث الدولية ٢٠٢٥، له العديد من المؤلفات من أبرزها:

- نحو الخيال: أفكار الإبداع في الثقافة الغربية ١٩٨٨ (***The Wake of Imagination: Ideas of Creativity in Western Culture***)
- شاعرية التخيّل: من هوسرل إلى ليوتار ١٩٩١(***Poetics of Imagining: from Husserl to Lyotard***)
- غرباء، آلهة، ووُحوش ٢٠٠٣ (***Strangers, Gods, and Monsters***)
- الإله الذي قد يكون ٢٠٠١ (***The God Who May Be***)
- حول الحكايات ٢٠٠٢ (***On Stories***)
- عن بول ريكور: بومة مينيرفا ٢٠٠٥ (***On Paul Ricoeur: The Owl of Minerva***)
- اللا-إلحاد: العودة إلى الله بعد الله ٢٠١١ (***Anatheism: Returning to God after God***)
- اللمس: استعادة حاسّتنا الأكثر حيوية٢٠٢١ (***Touch: Recovering Our Most Vital Sense***)
- الضيافة الجذرية ٢٠٢١ (***Radical Hospitality***)

هذا بالإضافة إلى المؤلفات التي قام بتحريرها:

- الهرمينوطيقا الجسدية: ٢٠١٥ (Carnal Hermeneutics)
- استضافة الغريب: بين الأديان ٢٠١١ (Hosting the Stranger: Between Religions)
- استضافة الأرض ٢٠٢٥ (Hosting Earth)

<< Richard Kearney – Faculty Directory. Morrissey College of Arts and Sciences, Department of Philosophy. Boston College.(n.d.). from https://www.bc.edu/bc-web/schools/morrissey/departments/philosophy/people/faculty-directory/richard-kearney.html, Retrieved June 4, 2025 & https://richardmkearney.com/

اللمس كتجربة إنسانية شاملة تتقاطع فيها الأبعاد الأنطولوجية (الوجودية)، والمعرفية، والأخلاقية، وتشكل أساساً لعلاقتنا بالذات والآخر والعالم من حولنا. وخلصت الدراسة إلى أن كيرني لا يدعو إلى استعادة اللمس كوظيفة حسية فحسب، بل يقدم دعوة فلسفية تطرح بعداً أنطولوجياً وميتافيزيقياً جديداً لموضوع اللمس، مما يمهد لإعادة بناء علاقتنا بالعالم على نحو أكثر تجسداً، حيوية، و إنسانية.

Abstract:

This study explores the perspective of Irish philosopher Richard Kearney (1954–) on what he describes as "the crisis of touch in our digital age," as articulated in his book *Touch: Recovering Our Most Vital Sense*. The research is grounded in a central paradox: while modern life increasingly depends on touch in its interaction with screens and digital devices, natural, embodied touch is steadily vanishing from our daily experiences. This shift has led to a form of "Excarnation" that permeates various dimensions of contemporary life. In response, Kearney proposes a rethinking of touch—not merely as a physical sensation, but as a vital mode of understanding the world and engaging with existence. The aim of the study is to analyze Kearney's reflections in order to highlight touch as a holistic human experience that encompasses ontological, epistemological, and ethical dimensions, forming the foundation of our relationship with the self, others, and the world. The study concludes that Kearney's call is not simply to restore touch as a neglected sense, but to offer a new philosophical vision—one that introduces ontological and metaphysical depth to the notion of touch, thereby opening a path toward reestablishing a more embodied, meaningful, and humane relationship with the world.

مقدمة:

انظر .... انتبه ..ماذا تفعل الآن؟ إن كنت تقرأ؛ فلما أن يداك تلمس تلك الأوراق، وربما تمسك أيضاً بقلم لتشير به إلى خطأ أو تكتب تعليقاً؟، وإذا كنت تقرأ باستخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة؛ فستجد أصابعك تلمس جهازك اللوحي لترفع الشاشة إلى أعلى أو تحركها لأسفل، قد تستخدم السبابة والإبهام لتكبير الشاشة أو تصغيرها، وعندما تتأمل برهة في الكلمات المكتوبة، ستكتشف أنها عبارة عن لمسات قليلة من أصابعى علي تلك اللوحة الصماء المنقوش عليها صور و رموز ، وبمجرد لمسها ينتقل ذلك الرمز على صفحة بيضاء، لتتراص الحروف والرموز لتكون كلمات وعبارات هي بمثابة ترجمة لما يدور في العقل من أفكار.

حاسة اللمس_ كما تعلمنا منذ نعومة أظافرنا_ إحدى الحواس الخمس الأساسية التي يمتلكها الإنسان، ويستكشف من خلالها العالم من حوله، في الماضي عندما تحدث الفلاسفة(*)عن حاسة اللمس كان حديثهم يدور في إطار اللمس المادي باعتباره وسيلة من وسائل المعرفة، أو كوسيلة لاستكشاف العالم من حولك، قد تصدق، وقد تكذب ما تنقله إليك من معرفة (بارد–حار–صلب–لين–ناعم–خشن)، ولكنها وسيلة لا يمكن الاستغناء عنها، ومع التطور التكنولوجي الهائل الذي طرأ على عالمنا في العقد

(*) كانت الحواس ودورها في المعرفة بشكل عام احد الموضوعات الرئيسة في الفكر الفلسفى برمته، وسوف يخصص الجزء الثاني من هذه الدراسة لتحليل أراء نماذج ممثلة من الفلاسفة عن حاسة اللمس.

الأول والثاني من القرن الواحد والعشرين، أُضفى على اللمس تصور جديد جعلنا نعتقد أن اللمس المادي قد انتهي دوره ، ودخلنا عصر اللمس التكنولوجي.

ولليت الأمر يتوقف عند هذا الحد، فما تطالعنا به الأخبار يوماً بعد يوم عن نجاح المحاولات الأولى لزراعة شريحة دماغية للأشخاص الذين فقدوا أطرافهم، أو تعرضوا إلى تلف في النخاع الشوكي، وكيف أصبح بإمكانهم التحكم في بعض تطبيقات الحاسب الآلى عن طريق زرع جهاز صغير في المنطقة المسؤولة عن معالجة أوامر النظام الحركي في المخ ، وتمتد منه أسلاك دقيقة تحتوي على أقطاب كهربائية تتلقى الإشارات من دماغ المريض، ويتم نقل أوامر الدماغ لاسلكيا إلى تطبيق على جهاز الكمبيوتر، مما يسمح لمالك الشريحة بالتحكم بالجهاز باستخدام "التفكير"، فيصبح هذا الشخص قادراً على التحكم في جهاز الكمبيوتر من خلال التفكير فقط!!!!(**) (١)

وعلى الرغم من النُبل البادي على السطح من كون هذه الوسيلة تعطي أملًا جديداً لمن تعرضوا لمثل هذه الحوادث، إلا أن السؤال الأعمق: هل يعد هذا الأمر إنذارا مبكراً لاندثار حاسة اللمس؟ هل يمكن أن نفقد حاسة اللمس، ونفقد معها دورها التقليدي كمصدر أساسي للمعرفة والتواصل الإنساني؟ أو بعبارة أخرى هل يمكن للّمس الإلكتروني أن يُضاهي اللمس الجسدى في عمق التجربة الإنسانية؟

هذه التساؤلات وغيرها كانت مثار اهتمام الفيلسوف الإيرلندي "ريتشارد كيرني" الذي حاول في كتابه "اللمس: استعادة حواسنا الأكثر حيوية "Touch: Recovering Our Most Vital Sense تقديم رؤية جديدة لمعالجة ما أسماه "أزمة اللمس The crisis of touch"(٢) في ظل التطورات التكنولوجية الحديثة، في محاولة منه لاستعادة دور حاسة اللمس في التواصل الإنساني في عالم ينزوي

(**)يكشف الخبر عن إعلان الملياردير الأمريكي "ايلون ماسك" عن تقنية جديدة ، وهي زرع لشرائح إلكترونية في الدماغ الإنسانية ، يطلق على هذه الشرائح شرائح "نيورالينك"، و هي عبارة عن أجهزة إلكترونية دقيقة تُزرع جراحيًا داخل الدماغ، وتعمل كواجهة بين الدماغ والآلة، حيث تسجل الإشارات العصبية وتحوّلها إلى أوامر رقمية تتيح للمستخدم التحكم بالأجهزة الإلكترونية من خلال التفكير فقط. تتصل هذه الشرائح بخلايا الدماغ عبر أقطاب كهربائية فائقة الدقة تلتقط النشاط العصبي، ما يمكّن المصابين بالشلل أو الإعاقات الحركية من استعادة قدراتهم على التواصل أو التحكم بأدوات مثل الحاسوب أو الأطراف الاصطناعية، و يروي هذا المريض الذي يعد ثالث شخص يخضع لهذه العملية عن تجربته ، فيؤكد أن الشريحة غيّرت مجرى حياته، إذ كان يعاني من مرض التصلب الذي جعله سجين جسده، عاجزًا عن الحركة والكلام، لكن الشريحة منحته حرية التواصل والتفاعل، وأعادت إليه شعورًا بأنه إنسان جديد. يصف الشريحة بأنها أزالت الحواجز التي كانت تفصله عن العالم، وأحدثت نقلة نوعية في حياته، مدهوشًا بقدرة الدماغ البشري على التكيف معها وتحويل الرغبة إلى فعل. ويضيف أن الشريحة أصبحت امتدادًا لعقله، كأنها ذراع جديدة يتعلم استخدامها، مشيرًا إلى أنه يشعر اليوم بأنه مزيج فريد بين التكنولوجيا والروح.

(١) ماسك يعلن نجاح زرع شريحة دماغية لشخص ثالث: انتظروا المزيد بـ٢٠٢٥.

"Al Arabiya, 11 January 2025, https://ara.tv/1ql0s. Accessed 25 January 2025.

ثالث مريض في العالم يزرع شريحة «إيلون ماسك» في دماغه يروي تجربته الملهمة

https://www.elwatannews.com/news/details/8099739 Accessed 9 July 2025

(2)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense. Columbia University Press, New York, 2021.p:2.

فيه "الجسم الحسي carnal body" لصالح "الجسم المرئي "optical body، حيث أصبحت الصور والشاشات تُهيمن على وجودنا.

ولذلك فنحن من خلال هذه الدراسة سنحاول تقديم قراءة تحليلية نقدية لأفكار "ريتشارد كيرني" في محاولته لتقديم منظور جديد يبرز أهمية حاسة اللمس ليصبح تجربة فلسفية فريدة وعميقة تمزج بين المعرفة، والقيم، والوجود.

إشكالية الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن السؤال المحوري وهو " **إلى أي مدي نجح كيرني في إعادة تشكل للمس، هل سيحتفظ اللمس الجسمى بدوره المعرفي والقيمي والوجودي برغم التطورات التكنولوجية الحديثة؟**

ووصولاً إلى هذا الهدف نحاول الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- السؤال الأول: ما ملامح أزمة اللمس في الوقت الراهن؟
- السؤال الثاني: هل ساهم التراث الفلسفي في تشكيل أزمة اللمس؟
- السؤال الثالث: ما الأبعاد المختلفة لحاسة اللمس عند "كيرني"؟
- السؤال الرابع: كيف يرى "كيرني" العلاقة بين اللمس الجسمي واللمس التكنولوجي؟

الدراسات السابقة:

على الرغم من أن الحديث عن الحواس بشكل عام، ودورها في المعرفة يمثل أحد الموضوعات الأساسية في الفكر الفلسفي، إلا أن الدراسات التي تركز على دور حاسة اللمس وحدها تعتبر نادرة إلى حد ما، ومن الدراسات النادرة التي تطرقت لهذه الفكرة في المكتبة العربية نذكر على سبيل المثال:

١. **خديجة سعيدي (٢٠١٨):** في الدراسة الموسومة بعنوان "**مفهوم اللمس وعلاقته بجسد الآخر عند جاك دريدا**": تسلط هذه الدراسة الضوء على أهمية اللمس في عند "جاك دريدا"، باعتباره الحاسة الأكثر أصالة وثباتا –على حد تعبيره–، وأظهرت الدراسة أن مفهوم اللمس عند "دريدا" ليس مجرد تجربة حسية، بل هو فعل فلسفي معقد يعيد تعريف العلاقة بين الذات والآخر؛ فهو ينظر إلى اللمس كحالة مزدوجة من الحضور والغياب، ففي الوقت الذي يؤكد فيه فعل" اللمس" على وجود الجسم ، يشير في الوقت ذاته إلى انفصاله عن الآخر، كما أظهرت الدراسة البُعد الأخلاقي "للمس" إذ يعكس المسؤولية تجاه الآخر، ويوضح الحدود الفاصلة بين ما هو ذاتي، وما هو مشترك في التجربة الإنسانية. (١)

(١) خديجة سعيدي: مفهوم اللمس وعلاقته بجسد الآخر عند جاك دريدا، مجلة منيرفا، مج٤، ع٢ ، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، كلية الآداب و اللغات ، الجزائر، ٢٠١٨،ص ص٢١٦ – ٢٢٤.

أما الدراسات الأجنبية فوجدنا فيها تنوعاً وثراءً، فهي من جانب أظهرت اهتماماً بالغاً بحاسة اللمس، وأثر التكنولوجيا الحديثة فيها، وتأثيرها فى التواصل الإنساني، ومن جانب أخر أظهرت هذه الدراسات أهمية تحليلات "كيرني" الحديثة عن حاسة اللمس خاصة في فترة جائحة كورونا ٢٠٢٠، من أبرز هذه الدراسات نذكر على سبيل المثال:

١. "**دليل روتليدج الدولي للتحليل النفسي والذاتية والتكنولوجيا"(٢٠٢٤):** وهو مجموعة ثرية من الأبحاث التي تناقش تأثير التكنولوجيا فى الهوية، والجسم، والعلاقات الاجتماعية، كما تناقش الأبحاث إشكالية أساسية: كيف تعمل التكنولوجيا على إعادة تشكيل فهمنا لما يعنيه أن تكون كائناً بشرياً، كما تحاول دراسة تأثير التكنولوجيا في التجربة الإنسانية وشعور الفرد بالعزلة، هذا بالإضافة إلى كون "ريتشارد كيرني" نفسه أحد المشاركين في هذا الدليل ببحث بعنوان " صدمة اللمس: العلاج، التكنولوجيا، التعافي"(*)، كما اعتمدت الأبحاث بدلخل هذا الدليل على مؤلف "كيرني الرئيس عن اللمس". (١)

٢. **دراسة " توفا باير بروش" و " سايبا فارما" (٢٠٢٤) "اللمس في العوالم الرقمية":** وتناقش هذه المقالة تأثير العصر الرقميthe digital era في حاسة اللمس، والقلق المتزايد بشأن اختفاء اللمس في العالم الحديث، وخلُصت الدراسة إلى أن التكنولوجيا الرقمية لم تستبدل اللمس بالكامل، بل أضافت إليه أبعاداً جديدة، ولذلك من الضروري فهم علاقتنا باللمس في العالم الرقمي لدراسة مستقبل الإدراك الحسي والتفاعل الاجتماعي. (٢)

٣. **دراسة: "ويليام سي وودي"(٢٠٢٣): "التجسد غيّر كل شيء: تأملات حول كتاب كيرني اللمس: استعادة حواسنا الأكثر حيوية" :** تتناول الدراسة تحليلاً لرؤية كيرني" للمس" من خلال استكشاف العلاقة بين مفهوم التجسد، والفلسفة، والتكنولوجيا، وذلك من خلال استخدام مفهوم "التجسد"، وتجريده من الصبغة الدينية، ليستخدمه كمفهوم فلسفى، يعيد به الاعتبار للجسم باعتباره جانباً أساسياً من التجربة الإنسانية، كما يؤكد أهمية اللمس كوسيلة للتواصل الحقيقي.(٣)

٤. **دراسة ترينور، بريان، وجيمس إل. تايلور (٢٠٢٣): "التجسد الجديد والعودة إلى الجسد المعيش في ضوء كتابات "ريتشارد كيرني":** هذه الدراسة الثرية عبارة عن مجموعة من الأبحاث التي تناقش رؤية "كيرني" للمس، ونقده للاتجاهات الحديثة التي تقلل من أهمية الجسم، مثل التحولات الرقمية والواقع الافتراضي، التي ساهمت في حدوث نوع من

(*)Kearney, Richard. "Touching trauma: Therapy, technology, recovery. Art.in,The Routledge international handbook of psychoanalysis, subjectivity, and technology. Routledge, 2024.P: 7-16.

(1)Goodman, David, and Matthew Clemente, eds. The Routledge international handbook of psychoanalysis, subjectivity, and technology. Taylor & Francis, 2024.

(2)Broch, Tuva Beyer and Saiba Varma. " Touch in Digitalized Worlds: An Introduction." Art. In: Anthropology of Consciousness, Wiley Periodicals LLC on behalf of American,vol. 35(2), 2024. 136–149.

(3) Woody, William C. "The Incarnation Changed Everything: Reflections on Kearney's Touch: Recovering Our Most Vital Sense. Crossing: The INPR Journal. (2023). https://doi.org/10.21428/8766eb43.de485f4c

الانفصال عن الوجود المتجسد، وأيضا يشارك "كيرني" نفسه في هذه الدراسة ببحث بعنوان "إعادة التجسد: استعادة الحياة الجسمية [1](*)" (٢)

٥. **دراسة "مايكل بانسي" (٢٠٢٣): "أهمية اللمس: المصافحات، والعناق، والعلم الحديث حول كيفية تعزيز اللمس للرفاهية والصحة النفسية"**: أوضحت الدراسة أن اللمس ليس مجرد تجربة حسية، بل عنصر جوهري في تشكيل الهوية الاجتماعية وتحقيق التوازن النفسي، وتأثير اللمس في العلاقات الاجتماعية، كما ناقشت الدراسة أثر التكنولوجيا الرقمية في حاسة اللمس، وكيفية التعامل مع تأثيراتها كى لا تحل البدائل الافتراضية محل التفاعل الجسمي الحقيقي. (٣)

٦. **دراسة "توري بونساكسن" وآخرون(٢٠٢٣) "العلاقة بين استخدام وسائل التواصل الاجتماعي والشعور بالوحدة عبر الثقافات"**: تناولت هذه الدراسة العلاقة بين استخدام وسائل التواصل الاجتماعي والشعور بالوحدة خاصة بعد عامين من تفشي جائحة كوفيد-١٩، وأشارت نتائج الدراسة إلى مفارقة عجيبة مفادها: أنه بالرغم من أن الهدف من وسائل التواصل الاجتماعي وجود شكل من أشكال التواصل بين الأفراد، إلا أن الأشخاص الذين استخدموها بدافع الحفاظ على علاقاتهم مع الآخرين أصبحوا يشعرون بالوحدة، ولم تقم هذه الوسائل بدورها المنشود في تعويض الحرمان من التواصل الفعلى.(٤)

إن هذه الدراسات في حداثتها وتعدد اتجاهاتها إنما تؤكد لنا أهمية موضوع البحث وحداثته، ولذلك فنحن من خلال هذه الدراسة سوف نحاول تسليط الضوء على رؤية "ريتشارد كيرني" لحاسة اللمس" في ظل التحديات التكنولوجية المعاصرة.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على **المناهج التالية :المنهج التاريخي والتحليلي، والنقدي، والمقارن،** حيث يتم تحليل أفكار "**ريتشارد كيرني**" حول اللمس، ودوره في العصر الحديث، خاصة مع تأثير التكنولوجيا، كما نستخدم التحليل النقدي للكشف عن نقاط القوة والضعف في رؤيته، مقارنتها بمقاربات فلسفية أخرى تناقش نفس الفكرة، بالإضافة إلى المنهج التاريخي في تتبع نظرة الفلاسفة للمس في العصور المختلفة، وأثر هذه الصورة على تصورات الفلاسفة في العصر الحديث.

(*)Kearney, Richard, Anacarnation: recovering embodied life.Art.in Treanor, Brian, and James L. Taylor, eds. Anacarnation and Returning to the Lived Body with Richard Kearney,Taylor & Francis, 2023

(2)Treanor, Brian, and James L. Taylor, eds. Anacarnation and Returning to the Lived Body with Richard Kearney,Taylor & Francis, 2023.

(3) Banissy, Michael. Touch Matters: Handshakes, Hugs, and the New Science on How Touch Can Enhance Your Well-Being, Chronicle Books, 2023.

(4)Bonsaksen, Tore et al. "Associations between social media use and loneliness in a cross-national population: do motives for social media use matter?" Health psychology and behavioral medicine vol. 11,1 2158089. 1 Jan. 2023. https://pmc.ncbi.nlm.nih.gov/articles/PMC9817115/. Accessed 11 February 2025.

صعوبات الدراسة:

من أكثر الصعوبات التي واجهت الباحثة في هذه الدراسة هو ترجمة المصطلحات التي يستخدمها "كيرني" في التعبير عن أفكاره، فهو من جانب يستخدم مصطلحات مألوفة ويضفي عليها معان جديدة كمصطلح "التجسدIncarnation " و" الإقصاء الجسمي"Excarnation "، ومن جانب آخر ينحت مصطلحات جديدة ليعبر بها عن أفكاره مثل "استعادة التجسدAnacarnation " و استعادة التكنولوجيا" Ana-technology".

أولاً: أزمة اللمس في عصرنا الحالي:

"هذا المقال موجه لأي قارئ مهتم بأزمة اللمس في عصرنا -عصر المحاكاة-الذي يتشكل بفعل التكنولوجيا الرقمية، وثقافة التجربة الافتراضية المتنامية"(١)

مفارقة عجيبة يكشف لنا عنها "ريتشارد كيرني" في عصرنا الحالي؛ إذ يرى أن "**عالمنا الذي يُفترض أنه مادي بطبيعته، يغدو أكثر تجريداً يومًا بعد يوم، فقد تحولت الشاشات التي تعمل باللمس إلى طريق للهروب عن اللمس ذاته.**"(*) (٢)

يوضح "كيرني" أن هناك أزمة حقيقية نمر بها تجاه اللمس، فبالرغم من كوننا نعيش في عالم أصبح معتمداً على حاسة اللمس بشكل كبير في كل تعاملاته، إلا أن اللمس الطبيعي بدأ يتلاشى تدريجيًا من حياتنا اليومية في مقابل اللمس الرقمي، فقد تحولت معظم علاقتنا الإنسانية والاجتماعية إلى مجرد محادثات نصية، وأصبح التعبير عن مشاعر الفرحة والحزن يتم من خلال مجموعة من الصور التعبيرية، حتى أدق العلاقات الإنسانية حميمية تحولت إلى مجرد صور على الشاشات، ولذلك فهو يتساءل قائلاً: **هل نحن في خطر فقدان حواسنا الأكثر حيوية والتي لا غنى عنها؟ هل سنفقد الاتصال باللمس نفسه؟ وإذا كان الأمر كذلك، ماذا يمكننا أن نفعل حيال ذلك؟** (٣)

(1)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense,p:2.

(*)"Our putatively materialistic world is becoming more immaterialized by the day, with multitouch screens serving as exits from touch itself."

(2)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense,p:4.

(3)Ibid,p:2.

ويختزل "كيرني" ملامح هذه الأزمة في التقابل بين مفهومي **التجسد** "**Incarnation**"(*)، **الإقصاء الجسدي**"**Excarnation** " (**) ، وبالرغم من أن تلك المصطلحات ذات صبغة دينية مسيحية_ ومع كونه لا يستبعدها_ إلا إنه يمنحها معان جديدة مرتبطة بالتطورات التقنية في العصر الحديث؛ فيقول:"**إذا كان التجسد هو إن تتحول الصورة إلى لحم ودم،فالإقصاء الجسدي هو أن يتحول هذا اللحم والدم إلى صورة، وإذا كان التجسد يضفي على الجسم جوهره، فإقصاؤه يجرّده من ماهيته**"(***)(١)

إن "**الإقصاء الجسدي**" هو المصطلح الذي يستخدمه "كيرني" لوصف **الابتعاد التدريجي عن التجربة الجسمية المباشرة** خاصة اللمس، في مقابل "**التجسُّد**" الذي يعبر عن الوجود الفعلي في الجسم والتفاعل الحسي المباشر مع العالم، ويُرجع "كيرني" السبب في ذلك إلى هيمنة التكنولوجيا والوسائط الرقمية، والاعتماد المتزايد على التقنيات الافتراضية الذي أصبح يهدد بتلاشي الروابط الحسية الأساسية بين البشر، كما يعزز فكرة التباعد بينهم، الأمر الذي أصبح ينذر بفقدان تدريجي للتجربة الحسية الأصيلة.

ويرى "كيرني" أن جائحة "كورونا" التي ألمَّت بالعالم في عام ٢٠٢٠، وفرضت عليه فكرة العزلة الوقائية وثقافة التباعد، قد شكلت نقطة تحول فاصلة للوجود الإنساني، ساهمت في تأكيد دور التكنولوجيا في التواصل الإنساني، وبالرغم من كون التكنولوجيا قد نجحت في

(*) التجسد **Incarnation**: في اللغة يعني حرفيًا "أن يصير شيء ما جسداً _ لحما ودماً_ "**en–fleshment**"، أو بعبارة أخرى "التجسّد في الجسد "**embodiment in flesh**" بمعنى "تحويل شيء مجرد أو غير مادي إلى شكل مادي أو ملموس"، وقد اقترن هذا المفهوم بالمسيحية، وتحول إلي عقيدة مفادها أن الكلمة الأزلية (اللوغوس)، أو الأقنوم الثاني في الثالوث، صار إنسانًا في شخص "يسوع المسيح"، الذي كان آنذاك إلهًا حقيقيًا وإنسانًا حقيقيًا «وبالإجماع عظيمٌ هو سرُّ التقوى: الله ظهر في الجسد»(١ تي ٣: ١٦)، ويشير قاموس "**Anchor**" للكتاب المقدس إلى أنه يمكن استخدام مصطلح "التجسد" للإشارة إلى أي كيان يأخذ شكلًا جسديًا، وليس بالضرورة أن يكون هذا الكيان مرتبطًا بالإله فقط، وغالبًا ما يُستخدم للإشارة إلى الجسم الإنساني **human flesh** ،وبالتالي تصبح الدلالة الأساسية للمصطلح:"إن هناك شيئًا غير مادي أو أعلى من الجسم يتم تجسيده، وبالتالى يمكن للمفهوم أن ينطبق على أي كيان أو صفة روحية تتجسد في شكل مادي، ومن هذا المنطلق يستخدم "كيرني" مفهوم التجسد الذي يعني الوجود الفعلي في الجسم والتفاعل الحسي المباشر مع العالم.

<<Cp: Freedman, David Noel. The Anchor Bible Dictionary. Art. "incarnation" ,Vol. 3. New York: Doubleday, 1992,P:397-399.>>

(**) الإقصاء الجسدي**Excarnation** : ترجع أصول هذا المصطلح إلي علم الأنثروبولوجيا، حيث يشير إلى عملية إزالة اللحم من العظام قبل الدفن، وتُمارس هذه الطقوس في منطقة التبت الصينية التي تزعم أن الإقصاء الجسدي هو أكرم أشكال الدفن، ويطلقون عليه مصطلح "الدفن السماوي**sky burial or celestial burial** " حيث يُترك الجسد على جبلٍ عالٍ ليأكله النسور، في طقس يجمع بين الرؤية البوذية للتجرد من الجسد والكرم تجاه الطبيعة، إذ يعتبر هذا التقليد المصير الأمثل للجسد الذي يتركه البشر وراءهم عند الموت، كما يتناسب مع الطبيعة الجبلية للمنطقة حيث يصعب الحفر، ويُظهر هذا الطقس عن عقيدتهم في الاحترام العميق للروح وليس للجسد، ولكن "تشارلز تايلور"(١٩٣١-) استخدمه في كتابه **A Secular Age** ليصف التحول الذي طرأ على التجربة الدينية في الحداثة الغربية، التي حاولت نزع البعد الجسدي من الحياة الروحية، مما يجعل الممارسات الدينية أكثر تجريداً وعقلانية وأقل ارتباطًا بالطقوس والتجارب المجسدة، وربط "تايلور" هذا المفهوم أيضًا بحركة الإصلاح الديني البروتستانتية، التي سعت إلى إزالة ما اعتبروه "سحرية" الطقوس الدينية، وجعل المسيحية أكثر عقلانية، وأقل تجسيداً .كما يشير إلى أن هذا التحول لم يكن مجرد تغير ديني، بل امتد إلى مختلف نواحي الحياة الحديثة، حيث أصبح الإدراك والمعرفة يعتمد أكثر على التحليل العقلي والتجريد، مع تراجع الأشكال التقليدية للتفاعل الحسي مع العالم.

<<Cp: Lamb, Robert, and Sarah Dowdey."How Sky Burial Works, https://people.howstuffworks.com/culture-traditions/funerals/sky-burial.htm. Accessed 15 July 2025.

Taylor, Charles. A secular age. The Belknap Press of Harvard University Press, 2007, P:288,771

(***) "For if incarnation is the image becoming flesh, excarnation is flesh becoming image. Incarnation invests flesh; excarnation divests it."

(1) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense,p:4.

حل العديد من مشكلات التواصل في تلك الفترة، إلا أنها ساهمت في ترسيخ صور " الإقصاء الجسدي"، مما يجعله يتساءل قائلاً: " **رغم كل المكاسب الاستثنائية التي حققتها التكنولوجيا لنا هل نفقد اتصالنا بالواقع— ذلك الإحساس المشترك الأساسي باللمس؟ ومع تنامي تواصلنا الإلكتروني ألسنا نُعرّض حاجتنا الضرورية للتواصل الجسمي للخطر؟**(١)

إن ثقافة العصر الذي نعيش فيه الآن يطلق عليها "كيرني" "الثقافة الرقمية digital culture" هي ثقافة تتجه نحو الإقصاء الجسمى عنها إلى التجسد(*)(٢)، لذا يبدأ "كيرني" برصد صور مختلفة لفكرة " الإقصاء الجسمى " التي أصبحت متغلغلة في مختلف مظاهر الحياة الإنسانية، فيذكر على سبيل المثال:

- **<u>الإقصاء الجسمي في الحياة اليومية:</u>** في إطار الحياة اليومية كان التفاعل الجسمي سمة أساسية للتواصل الإنساني، ولكن التكنولوجيا ساهمت في خلق نمط جديد للحياة يتميز بالتفاعل عن بُعد، مما أدي إلى تراجع اللقاءات الجسمية المباشرة التي كانت تُشكّل جوهر الحياة الاجتماعية، فعلى سبيل المثال: تم الاعتماد على وسائل التواصل الاجتماعي بدلًا من التفاعل المباشر بين الأصدقاء والجيران، حين أصبح التواصل أكثر بساطة يومياً بفضل التغريدات على وسائل التواصل الاجتماعي، والملصقات، والاختصارات، حيث حل تطبيق "واتساب What's up" محل "كيف الحال؟، وتم استبدال الزيارات العائلية في كافة المناسبات بالتفاعل الرقمي والاتصالات الهاتفية، حتي تجربة الخروج للتسوق بدأت في الاندثار بفضل صفحات التسوق الإلكتروني، كل هذه المظاهر ساهمت في ضعف الإحساس الفعلي بالوجود والتواصل الحي بين البشر. (٣)
- **<u>الإقصاء الجسمي في التعليم</u>**: فقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الأوساط الأكاديمية نفسها أصبحت تسير في اتجاه الإقصاء الجسمي، إذ تحول التعليم التقليدي الذي يعتمد على التفاعل المباشر بين المعلم والطلاب إلى **فكرة التعليم عن بعد distance education**، و تم استبدال المكتبات الرقمية بالمكتبات الفعلية، وتحولت النقاشات الأكاديمية إلى مساحات افتراضية تفتقر إلى الحضور الجسمي ، وهنا يتساءل "كيرني": "**مع استمرار هذا الوضع، فكم منا في المستقبل سيجوب أروقة المكتبات وأرشيفاتها، يمسح بيديه على الأغلفة الجلدية باحثًا عن مجلد معين، ليعثر بمحض**

(1)Ibid,p:2.

(*) "...our digital culture today is one of excarnation rather than incarnation."

(2) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense,p:52.

(3) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense,p:121,122.

الصدفة على آخر غير متوقع؟ من الذي لا يزال بحاجة إلى كتاب يُمسَك باليد أو أستاذ حاضر في قاعة الدرس؟(*)(١)

- **<u>الإقصاء الجسمي في العمل</u>:** ساهمت جائحة كورونا في ظهور و انتشار نظام العمل عن بُعد، وبالرغم من أنه بدأ في هذا التوقيت بصورة الضرورة، إلا انه أصبح نمطاً للعمل، ولكنه من جانب آخر أدى إلى انخفاض التواصل الفعلي بين زملاء العمل، مما قلل من فرص بناء علاقات مهنية قائمة على الوجود الجسدي والتفاعل غير اللفظي، ويعبر "كيرني" عن هذا الأمر قائلاً:" **إن الاجتماعات عبر تطبيقات Zoom أو Teams أصبحت تفتقر إلى العناصر الحسية التي تميز الاجتماعات الفعلية، مثل المصافحة أو تعابير الوجه الدقيقة التي تضيف عمقًا على للتفاعل الإنساني.**
- **<u>الإقصاء الجسمي في المجال الصحي والطبي</u>:** يرى "كيرني" أن مهنة الطب التي كانت معروفة تقليدياً بنهجها الذي يهدف إلى الشفاء، أصبحت في عصرنا الرقمي أقل تدخلاً يوماً بعد يوم، مع نشر التقارير الصحية على الإنترنت التي تنادي بتقليص "الفحوصات الجسمية" إلى الحد الأدنى من وقت الاتصال بين الطبيب والمريض لأغراض التأمين وكفاءة البيانات.(٢)
- **<u>الإقصاء الجسمي في المجال الساسي و العسكري</u>:** يرى "كيرني" أن الصراعات العالمية يتم شنها الآن بشكل غير مباشر من خلال ما يسمي بحملات العمليات النفسية من خلال الشاشات، حيث ينتقل القادة السياسيون من البرامج التليفزيونية إلى مقاعد السلطة (**)(٣)، حتى المعارك العسكرية في عصرنا الحالي لم تعد تُخاض وجهًا لوجه، بل عبر الشاشات، فأصبحنا نرى لقطات الطائرات المُسيّرة للمدن المدمّرة حيث لا يظهر جسم بشري واحد، إن تطور تقنيات الحروب عن بعد _مثل الطائرات المسيّرة والأسلحة الذكية_ أدى إلى تقليل التفاعل الجسمي بين الأطراف المتحاربة،

(*)" How many of us, in the future, will roam bookstalls and archives, running hands along leather spines, in search of a particular volume and hitting upon another by surprise? Who really needs a book in hand or a professor in class?

(1) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense,p:121,122.

(2)Ibid,p:122.

(**) يضرب "ريتشارد كيرني" مثلاً بشخصيتى الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" الذي عمل إعلامياً لفترة ، حيث قدّم برنامج "ذا أبرينتس" الشهير من ٢٠٠٤ إلى ٢٠١٥، وهو برنامج واقعي يعتمد على منافسات تجارية، و الرئيس الأوكراني" فولوديمير زيلينسكي" وهو ممثل وكوميدي سابق،وأصبح رئيساً لأوكرانيا منذ عام ٢٠١٩، ومن المفارقات العجيبة أنه بالرغم من أن صدور كتاب "اللمس" لكيرني كان في عام ٢٠٢١،إلا إن كتابة البحث تزامنت مع ذلك اللقاء المثير بين الرئيسين والذي أطلق عليه "اللقاء العاصف" الذي تمت فيه مناقشة حرب أوكرنيا ،وكيف تعامل الرئيسان بشكل يخرج عن قواعد الدمبلوماسية المتعارف عليها ، حتي شعر العالم إننا أصبحنا على مقربة من حرب عالمية ثالثة.

<< ترامب وزيلينسكي: ردود الفعل تتوالى على "اللقاء العاصف

BBC, 1 March 2025, https://www.bbc.com/arabic/articles/c62zg5nv524o. Accessed 9 March 2025.

(3)Ibid,p:124.

ومعه تم تنحية أي مشاعر إنسانية تماماً، مما جعل العنف أكثر تجريداً، والدمار أكبر حجماً (١)

- **<u>الإقصاء الجسمي في مجال الترفيه:</u>** يري "كيرني أن تراجع دور اللمس في مجال الترفيه والألعاب كان أمراً بارزاً وشديد الخطورة (٢)، إذ يناقش "كيرني" كيف ساهمت التكنولوجيا في صناعة ألعاب إلكترونية متقدمة ، وبدأت في تحسينها وتطويرها بوتيرة سريعة ، ودعمتها بما يعرف بتقنيات الواقع الافتراضي (VR) التي تتيح تجارب ثلاثية الأبعاد متنوعة(*)، وكيف تقدم هذه الألعاب صوراً حية للواقع، حيث يمكن للاعب أن يندمج مع الصور الرمزية النابضة بالحياة مع التحكم الكامل في البيئة المحيطة ،حيث يمكن للاعب أن يجسد شخصية بطل أو شرير، ويُجري عمليات سطو وفق سيناريوهات محددة، ويهزم الأعداء، ويُنفّذ أعمال انتقام، ويمكنه السفر حول العالم دون أن يتحرك فعلياً، ولكنها في حقيقة الأمر تُطمس الحدود بين العالم الحقيقي والعالم الخيالى أو الافتراضي ،كما أنها تعرض الفرد لخطر فقدان الاتصال الحقيقي مع الآخرين. (٣)
- **<u>الإقصاء الجسمي في المجال الديني</u>** :لم تترك التكنولوجيا الرقمية ساحة المجال الديني دون أن تترك فيها أثرا واضحاً، فقد ساهمت في تحول بعض الممارسات الدينية والروحية إلى مجرد صور مرئية، فعلى سبيل المثال: الصلوات والشعائر التي يتم عرضها على الشاشات عبر خاصية البث المباشر، وعلى الرغم من أن تلك التقنية قد

---

(1)Ibid,p:123.

(2)Ibid,p:125.

(*) تقنيات الواقع الافتراضي **Virtual Reality** : هو مصطلح يطلق على محاكاة جهاز الحاسوب للبيئات في العالم الحقيقى، مما يسمح للفرد بتجربة العيش في واقع غير موجود، أو ممكن أن يكون موجوداً في مكان ما ولكن ليس بالضرورة أن يكون متاحاً الوصول له لسببٍ أو لآخر، وقد استخدمها صناع ومطورو الألعاب التكنولوجية في وضع الفرد داخل بيئة تبدو حقيقية إلى حد كبير، ويشير "كيرني" إلى مجموعة كبيرة من الألعاب التي تم إنتاجها باستخدام هذه التقنيات مثل (**Grand Theft Auto (GTA)**،**Fallout 4, Sims, Fortnight** ، ومن جانب أخر بدأت الدراسات الحديثة في دراسة أثر هذه الألعاب على الأفراد سواء من الأطفال أم البالغين على حد السواء، وقد اثبتت الدراسات بالفعل خطورة هذه الألعاب ،إذ تبين أن هذه الألعاب تسبب مشكلات اجتماعية كالعنف والعزلة، وصحية مثل ضعف النظر والسمنة، ونفسية كالإدمان والاكتئاب. وكما أوضحت النتائج أن لمثل هذه الألعاب تأثيراً سلبيًا في التحصيل الدراسي للأطفال كما تسبب في ضعف التركيز و غير ذلك.

<<"ماهي تقنية الواقع الافتراضي.

https://chameleontour.com/ar/%D9%87%D9%84-%D9%82%D9%85%D8%AA-%D8%A8%D8%AA%D8%AC%D8%B1%D8%A8%D8%A9-%D8%AA%D9%82%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A7%D9%82%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%81%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%B6%D9%8A/ Accessed 28 May 2025

قارن : _ بسمة صالح سعيد الشيخي، إيمان موسى فرج الزوي. "الألعاب الإلكترونية وأثرها على العلاقات الأسرية-لعبة البُبجي نموذجاً ".مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية :(2022) 3.7 254-275.

_ جيهان محمد علي: "الألعاب الإلكترونية العنيفة وتأثيرها في ظهور بعض المشكلات الاجتماعية: دراسة ميدانية على عينة من طلاب المرحلة الإعدادية ".المجلة العلمية لكلية الآداب- جامعة دمياط.227-137 :12.6 (2024):

_ صفاء عبد الحميد معجوز: "التأثير الإيجابى والسلبي للألعاب الإلكترونية على الفرد والمجتمع ".مجلة الإسكندرية للتبادل العلمى.، مجلد ٤٣ ، ٢٠٢٢، ٩٥-١١٢

(3) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense,p:124,125.

تساعد في زيادة الشعور بالمشاركة، إلا أنها أدت إلى فقدان عنصر التجربة الجسمية المشتركة التي تُميّز الممارسات الدينية الجماعية، والارتباط الجسمي بالمجتمع الديني، وممارسة الشعائر بشكل مباشر.

- **الإقصاء الجسمي في العلاقات الجنسية**: يتعجب " كيرني" من قدرة التكنولوجيا على اختراق أكثر العلاقات الإنسانية اعتماداً على اللمس "الجنس"، فيقول: من الملاحظ الآن أن ثقافتنا التي توصف بأنها مادية، أصبحت تتحوّل إلى نقيضها "اللامادي"، فأصبح الجنس مجال اللمس الأكثر حميمية، يُختبر بشكل غير مباشر، أي عن طريق الغير لا عن قرب مباشر، من خلال مواقع المواعدة الإلكترونية، والرسائل الجنسية sexting، ومنصات التواصل الاجتماعي، وفي الوقت نفسه، تحوّلت صناعة المواد الإباحية إلى قطاع يدرّ مليارات الدولارات، وأصبحت المواقع الإباحية تستقبل عدداً كبيراً من المستخدمين يفوق مستخدمي برامج التسوق.(١)

كل هذه المظاهر التي بات اللمس فيها مهدداً بالاختفاء تركت أثرها في الوجود الإنساني، وخلفت وراءها شعوراً جديداً أطلق عليه "كيرني" " **الجوع إلى اللمس Touch Hunger** " باعتباره احد الأعراض الدالة على حاجتنا الإنسانية الأساسية إلى إعادة ربط ذلك العالم الافتراضي بعالمنا الحقيقي الملموس(٢)، مشيراً إلى أن هذا الشعور بدأ يُصنف باعتباره أزمة صحية عامة ناتجة عن التباعد الاجتماعي، حيث أشارت الدراسات الحديثة إلى أن الحرمان من اللمس يؤدى إلى زيادة مستويات القلق والاكتئاب، مما يؤثر على الصحة العقلية للأفراد والمجتمع ككل، كما يؤثر نقص التواصل الجسمي بين الأفراد إلى زيادة الشعور بالعزلة والوحدة والقلق، وعلى الرغم من زيادة استخدام الأجهزة الإلكترونية للتواصل، إلا أن ذلك لم يُعوِّض عن الحاجة الفطرية للمس، وفي المقابل أثبتت الدراسات أن اللمس يقلل من مستويات هرمونات التوتر، ويقوي جهاز المناعة، لذا فإن نقصه قد يؤدي إلى آثار صحية سلبية طويلة الأمد.(٣)

ليس ذلك فحسب بل نتيجة هذا الجوع للمس بدأ الإنسان يفقد أيضاً بعض المشاعر الإنسانية الأساسية كالإحساس بألم ومعاناة الآخر، وأصبح يعيش في حالة يُطلق عليها "**التخدير الحسي**"**Anesthetization** "، وهي حالة يصبح فيها الإنسان أشبه بمريض يعيش تحت تأثير مخدر قوي يطمس قدرته على التعبير عن مشاعره الحقيقة، فيصبح غير مبال

(1)Ibid,p:115,3

(2) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense,p:6.

(3) Golaya S. Touch-Hunger: An Unexplored Consequence of the COVID-19 Pandemic. Indian Journal of Psychological Medicine. 2021;43(4):362-363 & Ujitoko, Yusuke, et al. "Tracking changes in touch desire and touch avoidance before and after the COVID-19 outbreak." *Frontiers in Psychology* 13, 2022.

بالعالم الحي من حوله، يعيش أسير تلك الصور، محاصراً في واقع يُقدّس المسافة والانفصال، بينما يتآكل إحساسنا الفطري بالتواصل الجسمي والانخراط الحي في العالم. (١)

ولا يقصر "كيرني" الأزمة على فقدان التواصل الإنساني فقط بين البشر، ولكنه يشير أيضاً إلى أن الأزمة تمتد إلى فقدان العلاقة مع الطبيعة والكائنات الحية الأخرى مما يضاعف من الشعور بالعزلة (٢)، فتراجع اللمس كحاسة أساسية أدى إلى فقدان تجربة "**المشاركة الحية**" مع الطبيعة، حيث أصبحت المناظر الطبيعية تُستهلك بصرياً كما لو كانت مشاهد في فيلم وثائقي، مما يساهم في حدة الانفصال عن العالم الطبيعي، وبالتالي تحولت نظرتنا إلى النباتات، والحيوانات، والبيئات الحيوية المحيطة بنا إلى مجرد مشهد يُنظر إليه من الأعلى ومن الخارج، أصبحت الأماكن الطبيعية البرية مجرد مشاهد تُشاهد بين الحين والآخر، بدلاً من كونها مسرحاً حياً يدعونا إلى المشاركة. (٣)

ويستعير "كيرني" من الكاتب الصحفي الأمريكي" ريتشارد لوف"(١٩٤٩-)(*) مفهوم **شعور النوع الإنساني بالوحدة Species Loneliness**" للدلالة على تلك الحالة ؛ فيقول: " في الوقت نفسه الذي تصبح فيه التفاعلات الاجتماعية بين الناس أكثر رقمية وأقل شخصية، يتشكل نوع آخر من العزلة: شعور النوع الإنساني بالوحدة ذلك الخوف القاتل من أننا وحدنا في هذا الكون مع جوع يائس للتواصل مع الآخر. قد يشعر المؤمنون بإله شخصي أنهم ليسوا وحدهم، ومع ذلك، كلما ابتعدنا عن الطبيعة، يشعرون أيضًا بغياب ما، فنحن جميعًا مقدر لنا أن نعيش في مجتمع أوسع، في عائلة ممتدة بين الكائنات الحية الأخرى. (٤)

إن "كيرني" يبعث لنا برسالة مفادها:" **أنه إذا فقدنا الاتصال بأنفسنا، فإننا نفقد الاتصال بالعالم، من دون التواصل الحسي، لن تكون هناك علاقة بين الذات والآخر**(**) (٥)

فهل سيظل الأمر على هذا الحال، وما السبب في تلك القطيعة التي نشعر بها؟

ثانياً: اللمس والتراث الفلسفي (من التهميش إلى الاستعادة) (نماذج ممثلة):

---

(1)Rogers, Chandler D. "Cosmological Persons: Bringing Healing Down to Earth." Art.in: Kearney, Richard, Peter Klapes, and Urwa Hameed, eds .*Hosting Earth: Facing the Climate Emergency* .Taylor & Francis, 2024,p:.111

(2) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense,p:5

(3)Rogers, Chandler D."Cosmological Persons: Bringing Healing Down to Earth,p:122.

(*) ريتشارد لوف Richard Louv (١٩٤٩-): كاتب صحفي أمريكي اشتهر بتأليفه لكتاب "الطفل الأخير في الغابة: إنقاذ أطفالنا من اضطراب نقص الطبيعة Last Child in the Woods"، حيث صاغ فيه مصطلح" اضطراب نقص الطبيعة " لوصف التأثيرات السلبية الناجمة عن قلة تواصل الأطفال مع الطبيعة، في هذا الكتاب أشار "لوف " إلى أن انفصال الأطفال المتزايد عن العالم الطبيعي قد يؤدي إلى مجموعة من المشكلات السلوكية والصحية، بما في ذلك السمنة، و اضطرابات نقص الانتباه، والاكتئاب، وعلى الرغم من أن" اضطراب نقص الطبيعة "ليس تشخيصًا طبيًا معترفًا به، إلا أنه يُستخدم لوصف الفجوة المتزايدة بين الأطفال والبيئة الطبيعية .

<<Cp: Richard Louv: Home, https://richardlouv.com/. Accessed 9 March 2025.

"Louv, Richard, Last child in the woods: saving our children from nature-deficit disorder, Algonquin Books of Chapel Hill,2008.

(4)Louv, Richard, Our Wild Calling: How Connecting with Animals Can Transform Our Lives—and Save Theirs, Algonquin Books,2019,P:16.

(**) If we lose touch with ourselves, we lose touch with the world. No tactile connection, no resonance between self and other

(5) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p: 111.

بعد أن قام "كيرني" بتحديد ملامح أزمة اللمس، بدأ في التساؤل عن سبب هذه الأزمة، وحقيقة الأمر إنه لم يرجع السبب إلي التطور التكنولوجي وحده فحسب، بل حاول البحث والتنقيب في جذور الفكر لكي يصل إلى السبب الذي جعلنا نُهمل تلك الحاسة رغم أهميتها، فأدرك أن الفكر الفلسفي بثنائياته التقليدية المتقابلة بين الواقعي والمثالى، والتجريبي والمتعالى قد القت بظلالها على نظرتنا إلي اللمس(١)، وكيف تم النظر إلى الإنسان باعتباره كائناً بصرياً، يتعامل في الأساس مع الصور والألوان والأشكال، وبذلك أصبحت الرؤية تهيمن على التجربة الإنسانية، وفي المقابل أُهملت حاسة اللمس رغم كونها تجعلنا في اتصال مباشر مع العالم من حولنا (٢) ، ومن هنا يحاول "كيرني" تقديم نظرة نقدية للتراث الفلسفي بهدف تحدي ذلك النموذج البصري، واستعادة اللمس لمكانه الصحيح.(٣) ولذلك يحاول "كيرني" تتبع نظرة الفلاسفة لحاسة اللمس ليقف على أسباب هذا التهميش.

١. **<u>صراع البصر واللمس بين أفلاطون وأرسطو:</u>**

يرى "كيرني" أنه إذا ما أردنا الوصول إلى بداية هذا الصراع فسنجده في الفكر اليوناني، في وجهتى النظر المتقابلتين لقطبي الفكر اليوناني "أفلاطون" و"أرسطو"، حيث ساهمت الأفلاطونية في تهميش اللمس لصالح البصر، باعتباره الحاسة الأقرب إلى العقل، وبه يرتفع الإنسان إلى مستوى الفكر والتأمل، وفي المقابل ارتبط اللمس بالجسم والشهوات، وبهذا أصبح عائقًا أمام إدراك الحقيقة العقلية الخالصة. (٤)

وترتبط هذه النظرة بموقف "أفلاطون" العام من الجسم والحواس (*)، فالجسم بكل حواسه عند "أفلاطون" يعد عائقاً في طريق المعرفة الحقة، والحواس ليست سوى مصادر

(1)Kearney, Richard.The Wager of Carnal Hermeneutics, Art.in .Carnal Hermeneutics , Fordham University Press 2015,P:21.

(2)Fulkerson, Matthew. The First Sense: A Philosophical Study of Human Touch. MIT press,2013.P: xii.

(3)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense.p:34

(4)Ibid.p:34

(*) يمكن تلخيص رؤية أفلاطون للجسد والحواس في العناصر التالية:

<u>تشكيل الجسم الإنساني وأعضائه</u>: يتناول "أفلاطون" في محاورة "طيماوس" كيفية تشكيل الجسم الإنساني، ففي الوقت الذي يرى "أفلاطون " أن الإنسان كائن ذو طبيعة ثنائية، فهو بما له من نفس ينتمي للعالم العقلى الخالد، وبما له من جسم ينتمي للعالم الحسي الفانى، وكانت النفس تمثل ذلك الجانب الإلهى اللطيف، فقد قامت الآلهة بتجهيز ذلك الجسم لتسكن في الروح، وتم تصميمه ليكون خادماً للعقل والفكر، وبناء على تلك الرؤية، تم خلق تشكيل أعضاء هذا الجسم للتناسب مع تلك الوظيفة. فكانت الرأس هى الجزء الأهم والأكثر ألوهية في الإنسان، فهى_ على حد تعبيره_ " سيد كل ما فينا"، وهو مستدير ليشبه شكل الكون الذي يُعدّ كرويًا ومثاليًا، وباقي الأعضاء كالعنق واليدين والقدمين ما هي إلا خادمة له، وهي أيضاً وسائل الحركة التي شكلها الإله كي تكون بمثابة الدعامات والسند الرافع لأكثر الأجزاء قدسية وألوهية فينا.

<u>العين صاحبة الأولوية السيادة</u>: ولما كانت الرأس هي الجزء الأكثر ألوهية وقداسة، ووجد في داخلها الأعضاء التي تعينها في كل الأشياء لتدبير الروح، وهنا تظهر العين باعتبارها أول الأعضاء الحاسة وأهمها وأقدسها، فيقول: "ومن الأعضاء الحاسة اخترعت العينان بادئ ذي بدء كي تهب الضوء"، كما خلقت الآلهة أيضاً جفوناً لتلك العين لوقاية البصر، الذي يعتبره " مصدر النفع الأعظم لبني البشر"، إذ منح الإله البصر للإنسان ليتمكن من تأمل الحركات السماوية، وإدراك النظام الكوني، مما يساعده على التفكير الفلسفي، فيقول :" إنّ البصر في رأيي هو مصدر النفع الأعظم لبني البشر، إذ بدونه ما كان باستطاعتنا أن نشاهد النجوم أبداً، ولا أن نرى الشمس، ولا السماء، ولا كان بإمكاننا التكلم عن الكون بأية كلمات أو التفوه بها، أما الآن فرؤية النهار والليل والشهور ودوران السنين، و أوجدت العدد، وأعطتنا تصوراً عن الزمن، والقوة كي نحقق بشأن طبيعة الكون، واستمددنا الفلسفة من هذا الينبوع، والذي ليس هناك خير أكبر منه أعطته الآلهة أو ستعطيه للإنسان الفاني، هذه النعمة هي أعظم نعم البصر."

غير موثوق بها للإدراك، حتى إن البصر _رغم تفوقه_ لا يعد مصدراً موثوقًا به، فكم بالحري باقي الحواس التي يأتي اللمس في أدني مستوياتها؟!، وقد عبر عن هذا الأمر بوضوح في محاورة "فيدون" قائلاً: " **وبعد ذلك فما عسانا أن نقول عن السبل الحقيقية التي تفتضيها المعرفة؟ إن كان ثمة ما يدعو الجسم للمساهمة في تحصيلها، فهل يكون عائقاً لها أم معيناً عليها؟ أعني هل يأتينا السمع والبصر بحقيقة ما؟ أليس هما دليلين خاطئين كما ينبئنا الشعراء؟ فإن كنا مخطئين ومبهمين، فماذا عسى أن يقال عن سائر الحواس؟**"(١).

ويزداد الأمر سوءاً عندما يميز أفلاطون بين ما هو نقي (الروح والعقل)، وما هو غير نقي (الجسم والمادة والحواس)، وفقًا لهذا التصور فإن الإنسان لا يقترب من الحقيقة إلا بقدر ما يتحرر من ارتباطه بالجسا، مما يمنح البصر تفوقًا على بقية الحواس، فالبصر يسمح للإنسان بمراقبة الأشياء من بعد، دون الانخراط المباشر فيها، وهو ما يجعل التجربة تبدو أكثر تجريداً وتأملاً، على العكس من ذلك اللمس إذ يتطلب اتصالًا مباشراً مع العالم المادي، مما يجعله الحاسة الأدنى شأنًا لارتباطه بالمادة والانفعالات الحسية، ولذلك يدعو قائلاً:" **لا يُسمح للدنس أن يدنو مما هو طاهر.**(*) "(٢)

لقد رأى" كيرني" أن رؤية "أفلاطون" عن دونية اللمس قد أثرت بشكل كبير في الفكر الفلسفي برمته، ولكن في المقابل كان "كيرني" معجب برؤية أرسطو عن اللمس، بل يري إنها تمثل ثورة في الفكر والنظر إلى اللمس، فالصورة التي رسمها أرسطو عن اللمس هي التي تبنتها بعد ذلك الاتجاهات الفينومينولوجية، والهيرمينوطيقية(**) في القرن العشرين.

السمع صاحب المرتبة الثانية: فهي أيضاً عطية وهبه من الآلهة، فمن دون السمع لا نستطيع النطق، ودون النطق والكلام لن نستطع التعبير عن أفكارنا وفلسفتنا، كما أنها أيضاً أداة لإدراك التناغم الكوني، كما يربط أفلاطون السمع بالموسيقى، حيث يرى أن الموسيقى تعكس انسجام العالم من خلال الألحان والنغمات، مما يساعد النفس على إدراك النظام الإلهي، وهو بذلك يجعل للموسيقي دوراً كالرياضيات والفلك.

<< انظر: أفلاطون: محاورة طيماوس، ص ٤٣١-٤٣٥>>

(١) أفلاطون: محاورات أفلاطون (أوطيفرون. الدفاع. أقريطون. فيدون)، محاورة فيدون، ترجمة: زكي نجيب محمود، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة،٢٠٢٢، ص ١٠٦.

(*)"for it is not permitted to the impure to attain the pure."

<<cp. Plato: complete works, Phaedo, Hackett Publishing Company, Inc, 1997,p:58>>

(٢)أفلاطون: محاورات أفلاطون (أوطيفرون. الدفاع. أقريطون. فيدون)، محاورة فيدون، ص١٠٨.

(**) الفينومينولوجيا Phenomenology : أو الظاهراتية: هي منهج فلسفي يركز على دراسة الظواهر كما تُدرك في الوعي، معتمدًا على الوصف المباشر للتجربة الإنسانية بدلاً من التفسيرات الميتافيزيقية أو العلمية المجردة ،و يُنسب هذا المصطلح بشكل أساسي إلى الفيلسوف الألماني "إدموند هوسرل" (١٨٥٩_١٩٣٨) ، الذي أسس هذا المذهب كرد فعل على الفلسفات التقليدية، وخاصة الميتافيزيقا، التي اعتبرها غارقة في الافتراضات غير المبررة.، يرى هوسرل أن الفلسفة يجب أن تعود إلى "الأشياء ذاتها"، أي إلى التجربة المباشرة كما تُعاش في الوعي، دون افتراضات مسبقة، ولذلك، دعا إلى تعليق الحكم المسبق(epoché) ، أي تنحية كل الافتراضات الخارجية والتركيز فقط على كيفية ظهور الظواهر للوعي.

<< انظر: جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، مادة: الفينومينولوجيا، دار الجنوب للنشر، تونس، ٢٠٠٤، ص٣٢٥، مراد وهبه: المعجم الفلسفي، مادة: ڤينومينولوجيا، ص٤٧٧& إدموند هوسرل: فكرة الفينومينولوجيا، ترجمة: فتحي إنقزو، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولي، بيروت،٢٠٠٧، ص١٢٩>>

إن معالجة أرسطو لحاسة اللمس والحواس نجدها بوضوح في كتابه " في النفس"، ومقالته عن "الحس والمحسوس"، إذ يتناول أرسطو فيهما حاسة اللمس ضمن اهتمامه بالأفكار البيولوجية، وسعيه إلى تصنيف الإدراك البشري وغير البشري، وفحص وظائف وأعضاء الحواس(١)، ويمكن إيجاز تلك الرؤية في العناصر الآتية:

- **اللمس هو الحاسة الأكثر تعقيداً وصعوبة**:(*) يري "كيرني" أن أرسطو كان محق عندما وصف اللمس بأنه أمر معقد (٢)، فاللمس ليس مجرد إحساس بسيط ومباشر، بل هو الحاسة الأكثر تعقيداً في الكائنات الحية، فمن ناحية لا يمكن تحديد هل هو حاسة واحدة أم اكثر من حاسة، وما العضو الخاص بها، فعلى سبيل المثال: العين للبصر، والأذن للسمع، أما اللمس فليس له عضو محدد، بل ينتشر عبر الجلد في جميع أنحاء الجسم، ومن جانب آخر لما كان كل إحساس يُعرف بضده: فالبصر هو ادراك الأبيض والأسود، والسمع إدراك الحاد والغليظ، والذوق هو إدراك الحلو والمر، بينما يشمل اللمس العديد من المتضادات: كالحار والبارد، واليابس والرطب، الصلب واللين.(٣)
- **اللمس هو الحاسة الأكثر شمولية**(**): يؤكد أرسطو أن حاسة اللمس هي الحاسة الأكثر انتشاراً وشمولية بين جميع الكائنات الحية، فهي الحاسة الوحيدة التي يمتلكها جميع الكائنات الحية دون استثناء، على عكس حواس مثل البصر أو السمع التي قد تكون غائبة لدى بعض الكائنات(٤)(***)، كما أن جميع الحواس الأخرى تعتمد بطريقة أو بأخرى على شكل من أشكال التلامس: الضوء يلامس شبكية العين في عملية

الهيرمينوطيقاHermeneutics: هي فن أو نظرية في التفسير، فضلاً عن كونها ذلك النوع من الفلسفة الذي يبدأ بالأسئلة الخاصة بالتفسير، ارتبطت الهيرمينوطيقا في البداية بتفسير النصوص الدينية، خاصة نصوص الكتاب المقدس، لكن مع القرن السابع عشر بدأ علماء اللاهوت واللغة في وضع قواعد منهجية للتفسير الصحيح للنصوص الدينية والكلاسيكية، ثم امتدت لتشمل الأدب والفنون، بل العلوم الإنسانية أيضاً.

<<cp: Audi, Robert:"The Cambridge Dictionary of Philosophy ", Art: "Hermeneutics ", Cambridge University Press, Second Edition, 1999,P:377.>>

(1)Paterson, Mark. The senses of touch: Haptics, affects and technologies. Routledge, 2020,P:17.

(*) touch turns out to be the most complex and elusive sense.

(2)Kearney, Richard.The Wager of Carnal Hermeneutics,P:20.

(٣) أرسطو: كتاب النفس، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، المركز القومي للترجمة، الطبعة الثانية، القاهرة،٢٠١٥ ص ٨١،١٢٩.

(**) "the most universal of the senses"

<<cp. Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense.p:34>>

(٤) أرسطو: كتاب النفس، ص ٥٠.

(***) يوضح أرسطو أن اللمس هو الحاسة الأساسية التي يمتلكها جميع الكائنات الحية دون استثناء، فهو يتيح للكائنات التفاعل مع بيئتها والاستجابة للمؤثرات الخارجية. على عكس البصر أو السمع، اللذين قد يكونان غير موجودين لدى بعض الكائنات الحية، فعلى سبيل المثال بعض الحيوانات كالخفافيش قد تكون عمياء وتعتمد على تحديد المواقع بالصدى بدلاً من البصر، لكنها لا تزال تمتلك حاسة اللمس من خلال الجلد أو الشعيرات الحسية ، وأيضاً في النباتات نجد أنها بالرغم من أنه ليس لها جهاز عصبي، فإن بعض النباتات مثل الميموزا ("النبات الحساس") تستجيب للمس عن طريق إغلاق أوراقها عند ملامستها ، وأيضاً الإنسان فإذا ما تخيلنا أن شخصاً فقد حاسة البصر أو السمع، فهو لا يزال قادراً على الشعور بالمؤثرات الخارجية عبر اللمس، مثل الإحساس بالحرارة أو البرودة، أو تمييز ملمس الأشياء المختلفة. ولذلك يعتبر أرسطو اللمس هو الحاسة الوحيدة الذي إذا انعدمت، أفضت إلى موت الكائن الحي.

الإبصار، والموجات الصوتية تلامس طبلة الأذن لنسمع، والروائح تتفاعل مع مستقبلات الشم داخل الأنف، والأطعمة تلامس اللسان لتحفيز التذوق(١). بالتالي فإن اللمس ليس مجرد حاسة مستقلة، بل هو الأساس الذي تقوم عليه بقية الحواس، وهذا يجعلها_ وفقًا لأرسطو_ أكثر الحواس جوهرية وشمولية لفهم العالم والتفاعل معه.(٢)

- **<u>اللمس هو الحاسة الأكثر دقة وذكاء(*)</u>:** يتفق "كيرني" مع أرسطو في وصف اللمس بأنه الحاسة الأكثر ذكاء، والذكاء هنا لا يعني التفكير المنطقي فقط، بل يشمل القدرة على التفاعل مع العالم وفهمه بطريقة مباشرة، فاللمس في الإنسان هو أكثر الحواس دقة، بالقياس إلى سائر الحواس لدي الكائنات الحية، وهذا هو السبب في أن يكون الإنسان أكثر الكائنات الحية عقلاً (٣)(**)، والعقل هنا يعني التمييز بين الفروقات الدقيقة في العالم من حولنا، فعندما نلمس شيئًا، فإننا لا نشعر به فقط، بل نستجيب له ونفهمه بناءً على خصائصه مثل الحرارة، والملمس، والصلابة، والنعومة، ولذلك نرى الأطفال يستخدمون اللمس لاكتشاف العالم من حولهم قبل أن يتعلموا الأسماء أو المعاني، بالتالي فاللمس ليس مجرد إحساس ميكانيكي، بل هو أداة إدراكية تتيح لنا فهم اختلافات العالم والتفاعل معه بوعي. (٤)
- **<u>اللمس هو اللمس عملية انتقائية وتمييزية (***)</u>:** يرى "كيرني" أن أرسطو أكد على الطابع الانتقائي لحاسة اللمس، فاللمس لا ينقل العالم إلينا بطريقة مباشرة، _كما زعم أفلاطون_، ولكنه عملية انتقائية وتمييزية، تسمح لنا بالتفاعل مع العالم بوعي، و يساعدنا فى التمييز بين الأشياء، وإدراك الاختلافات بينها، مثل الفرق بين الساخن والبارد، الناعم والخشن، الضار والنافع، هذا بالإضافة إلى أننا عندما نلمس شيئًا، فنحن في اللحظة نفسها نَلمس ونُلمس، دون أن نفقد التمييز بيننا وبين الأشياء، بل

---

(١) أرسطو: كتاب النفس، ص ١٢٩

(2)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense.p:34

(*) Touch is also the most *intelligent* sense"

<<cp. Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense.p:34>>

(٣) أرسطو: كتاب النفس، ص ٧٥.

(**) استخدم أرسطو حساسية ودقة اللمس ليميز بين الإنسان والحيوان من جانب، ولكنه من جانب آخر استخدم هذا التمييز بصورة عنصرية ليفرق فيها بين الأكثر ذكاء والأقل ذكاء فيقول :" رأينا أن الفضل يرجع إلى هذا العضو من الحس ،لا إلى شيء غيره في أن بعض الناس أفضل موهبه من بعضهم الآخر ،لأن ذوى اللحم الغليظ أقل ذكاء من ذوي اللحم الرقيق" ، وقد استخدم هذا المعيار للتمييز أيضاً بين ذوي البشرة البيضاء والسمراء، إذ جعل أصحاب البشرة البيضاء الرقيقة في مرتبة أعلى باعتبارهم الأحرار، وأصحاب البشرة السمراء في مرتبة أقل باعتبارهم العبيد، وإذا كان هذا التميز صائباً إلى حد ما من الناحية البيولوجية، إذ نجد أن أصحاب البشرة السمراء لديهم قدرة أكبر على تحمل الحرارة بسبب ظروف البيئة التي يعيشون فيها، مقارنة بأصحاب البشرة البيضاء. إلا إننا نرفض استخدام هذا المعيار كأداة للتمييز بين الأفراد الأكثر أو الأقل ذكاء، كما نرفض التمييز العنصري في المفهوم الأرسطي بكافة صوره. (الباحثة)

<< انظر: أرسطو: كتاب النفس، ص ٧٦>>

(4)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense.p:34

(***) "touch is a discriminating sense"

<<cp. Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense.p:36>>

يظل هناك فرق واضح، وهو ما ينفي كون اللمس اتصالاً مباشراً مع المادة _كما زعم أفلاطون أيضاً_ ، إن تجربة اللمس أشبه ما تكون بعازف يعزف على أوتار آلة موسيقية، يدرك فيها التناغم والاختلاف في الوقت نفسه.(١)

- **<u>اللمس هو الحاسة الأكثر ارتباطًا بالعالم الخارجي:</u>** فهو الذي يبقينا منفتحين على الواقع ومتصلين بالآخرين، لقد كان أرسطو يقول بأن " **الكمال البشري هو كمال اللمس**، إذ من دون اللمس لا توجد حياة ذات معنى" (٢)، ويفسر "كيرني" هذا الأمر فيقول:" **الإحساس الواعي يجعلنا بشراً لأنه يسمح لنا بالتفاعل مع كل تجربة فريدة في إطار هنا والآن**" (*)، إن الإحساس باللمس ليس مجرد تجربة حسية، بل هو ما يجعلنا بشراً لأنه يتيح لنا التفاعل المباشر مع العالم بطريقة فريدة ومباشرة، فاللمس لا يعزلنا عن الواقع كما تفعل بعض الحواس الأخرى (مثل البصر الذي يمكنه مراقبة الأشياء من بعيد)، بل يضعنا في صميم التجربة، حيث نستجيب بشكل فوري وفردي لكل موقف نواجهه، فاللمس يجعلنا ندرك التفاصيل الفريدة والمميزة لكل موقف في اللحظة التي يحدث فيها، على سبيل المثال: عندما نصافح شخصًا، أو نشعر بحرارة أشعة الشمس على بشرتنا، أو نلمس شيئًا خشنًا، فإن هذه التجارب لا يمكن تكرارها بالطريقة نفسها تمامًا، فهي لحظات فردية نعيشها في الحاضر، وبالتالي فإن الإحساس المدرك، أو تلك "اللمسة الواعية" يجعلنا متصلين بالعالم بطريقة حيوية، حيث نكون دائمًا في حالة استجابة فورية وفريدة لكل ما يحيط بنا. (٣)

لقد كان "كيرني" معجباً إلى حد كبير بتحليل أرسطو لحاسة اللمس، وكيف مثلت رؤيته تحديًا مهمًا للنظرة الأفلاطونية التي تقلل من شأن اللمس مقارنة بالبصر أو السمع، وكيف رأى في اللمس وسيلة تجعلنا متصلين بالعالم بطريقة مباشرة وفريدة، هذه الرؤية تجعل اللمس ليس مجرد وسيلة للإدراك الحسي، بل تجربة أساسية للحضور والتفاعل مع الواقع، ما يمنحه دوراً جوهريًا في فهم الذات والعالم.

٢. **<u>اللاهوت المسيحي ومفارقة اللمس:</u>**

يري "كيرني" أن رؤية أرسطو لم تستطع الانتصار في معركة الفكر، وسادت الرؤية الأفلاطونية، وأصبحت الثقافة الغربية نظاماً تحكمه ما أسماه " عين الروح The soul's eye"، وأصبح البصر يُهيمن على التسلسل الهرمي للحواس، باعتباره حليفاً للمعرفة النظرية.(٤)

---

(١) أرسطو: كتاب النفس، ص ٨٢-٨٥

&Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense.p:36

(٢) أرسطو: كتاب النفس، ص ١٣١،١٣٢.

(*) Tactful sensation makes us human by responding to singularities here and now"

<<cp.Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense.p:35>>

(3)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense.p:35

(4)Ibid,p:36,37.

ولكن الأمر اللافت للنظر لدى "كيرني" هو التعجب من الكيفية التي سيطرت بها الأفلاطونية على اللاهوت المسيحي، الذي من المفترض أنه يبشر **بعقيدة أساسية وراسخة، هي عقيدة التجسد** التى تستلزم رفض أي تصور يقلل من قيمة الجسم بوجه عام، وحاسة اللمس بوجه خاص(*)، ويستدل" كيرني" على ذلك من النصوص الكتابية التي توضح كيفية تعامل المسيح مع اللمس، حيث استخدمه في معظم معجزات الشفاء، فيقول:" **لقد قضي المسيح معظم حياته في شفاء المرضي عن طريق لمسهم، ووضع الأيدي على العميان، والصم والخرس والمقعدين والمحتضرين(**)**"(١)

ومن جانب آخر أوضح "كيرني" إن تلك "**اللمسة الشافية Healing touch** " لم تكن تتعلق فقط بالشفاء الجسدي فحسب، ولكنها أيضاً كانت تحمل في داخلها العديد من الرسائل أهمها الشعور بالتعاطف، والحضور، والتواصل الذي يدعم الشفاء النفسي قبل الشفاء الجسمي(٢)، كما تنتقض فكرة التمييز بين الطاهر والنجس، وتؤكد أن اللمس الجسدي ليس سبباً في طهارة أو نجاسة الإنسان ، بل نقاء العقل والفكر هو الأساس الحقيقي للطهارة.(***)

(*) ترفض المسيحية كل تصور يرى الجسد كقيداً للنفس، أو كجوهر شرير يجب مقاومته في ذاته. فالشر لا ينبع من الجسد نفسه، بل من إرادة الإنسان، كما يوضح القديس أثناسيوس بقوله:" إن الجسد هو صنعة يدي الله، ولا يمكن أن يخلق الله شيئًا شريرًا "ويُضيف أن تجسد أقنوم الكلمة أحدث تحولًا في وضع الجسد البشري، إذ صرنا في المسيح نحيا حياة جديدة، حيث يقول :إننا في المسيح نحيا جميعًا بولادتنا الجديدة من الماء والروح، فلا يعود الجسد فيما بعد أرضيًا، بل يصير إلهيًا كالكلمة، وذلك بسبب كلمة الله الذي صار جسدًا لأجلنا.

<< انظر: شرح الكتاب المقدس –الموسوعة الكنسية لتفسير العهد الجديد، تفسير إنجيل يوحنا & كمال حبيب، المسيحية والجسد، مطبعة دار العالم العربي، القاهرة،١٩٧٠.

https://st-takla.org/bible/commentary/ar/nt/church-encyclopedia/john/chapter-01.html#14>>

(**) يستخدم "كيرني" بعض المعجزات الكتابية التي قام بها السيد المسيح باستخدام اللمس ،فعلى سبيل المثال شفاء الفتاة ذات الاثني عشر عاماً" :أمسكها بيدها وقال: طاليثا قومي! (مرقص ٤١:٥)، شفاء الأبرص :" مدّ يسوع يده ولمسه وقال له: كن طاهراً(لوقا ١٢:٥-١٥.) شفاء الأصم الأبكم في ديكابوليس وضع إصبعه في أذنه، وتفل ولمس لسانه... وقال: إفثا! (انفتح(!) (مرقص ٣٢:٧)

(1)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense.p:36,74.

(2)Ibid.p:74.

(***) لم تكن فكرة النجس والطاهر فكرة في التراث الأفلاطوني فحسب، ولكنها كانت موجودة أيضاً في الفكر اليهودي، وتعدّ من القواعد الأساسية في الشريعة اليهودية، حيث تنظم حياة اليهود الدينية والاجتماعية من خلال تصنيفات للطهارة والنجاسة، وتستند هذه الأحكام بشكل أساسي إلى أسفار التوراة، خاصة سفر اللاويين وسفر العدد، وسفر التثنية، ويقصد بحالة الطهارة" الحالة التي يكون فيها الشخص أو الشيء مؤهلاً للمشاركة في الطقوس الدينية مثل دخول الهيكل أو تقديم الذبائح" ، وفي هذه الحالة لعب اللمس دوراً هاماً في حالة التحول من حالة الطهارة إلي النجاسة، إذ يتنجس الشخص إذا قام بلمس جثة إنسان أو عظامه أو قبره ، وأيضاً عند لمس جثث بعض الحيوانات (مثل الخنزير) ، أو إصابة الشخص ببعض الأمراض كالبرص الذي يتسبب في نجاسته ،ونجاسة كل من يلمسه، وأيضاً الإفرازات الجسمية كالحيض أو السيلان، ولكن المسيحية غيرت مفهوم الطاهر والنجس ، وجعلت الطاهرة والنجاسة مرتبطة بالخطية الروحية أكثر من ارتباطها بالأجسام المادية، ويتضح هذا الأمر من خلال أكثر من موقف:

١. في إحدى حوارات السيد المسيح مع الكتبة والفريسيين حول الالتزام بالتقاليد اليهودية الخاصة بالنظرة إلى الطهارة، يؤكد السيد المسيح أن الطهارة الحقيقية ليست في الطقوس الخارجية، بل في القلب والعمل بمشيئة الله، فيقول:" لَيْسَ مَا يَدْخُلُ الْفَمَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ، بَلْ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ هذَا يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ»." (مت ١٥: ١١)، فَقَالَ لَهُمْ: «أَفَأَنْتُمْ أَيْضًا هكَذَا غَيْرُ فَاهِمِينَ؟ أَمَا تَفْهَمُونَ أَنَّ كُلَّ مَا يَدْخُلُ الإِنْسَانَ مِنْ خَارِجٍ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ إِلَى قَلْبِهِ بَلْ إِلَى الْجَوْفِ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الْخَلاَءِ، وَذلِكَ يُطَهِّرُ كُلَّ الأَطْعِمَةِ». ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الإِنْسَانِ ذلِكَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ. لأَنَّهُ مِنَ الدَّاخِلِ، مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ، تَخْرُجُ الأَفْكَارُ الشِّرِّيرَةُ: زِنىً، فِسْقٌ، قَتْلٌ، سِرْقَةٌ، طَمَعٌ، خُبْثٌ، مَكْرٌ، عَهَارَةٌ، عَيْنٌ شِرِّيرَةٌ، تَجْدِيفٌ، كِبْرِيَاءُ، جَهْلٌ. جَمِيعُ هذِهِ الشُّرُورِ تَخْرُجُ مِنَ الدَّاخِلِ وَتُنَجِّسُ الإِنْسَانَ». (مرقص ٦:١٨).

ليس ذلك فحسب، بل يرى "كيرني" أن المسيحية استطاعت أن تُبرز الوجه التفاعلي للمس_كما سيظهر في الاتجاهات الفينومينولوجية لاحقاً_ ، فالمسيحية كما يراها" كيرني" هي قصة "**إحساس متبادل وجوهري A quintessential reciprocal sensation**" [1] ، أو تجربة تفاعلية بين اللمس والمَلموس، فالفاعل والمفعول به في عملية اللمس يتبادلان الأدوار بشكل متداخل، فعندما يلمس شخصٌ ما جسم الآخر، فإنه في الوقت نفسه يُلمَس، مما يخلق تجربة حسية متبادلة، حيث يصبح الفاعل مفعولًا به والعكس، ويتضح هذا الأمر أيضاً في العديد من المواضع الكتابية أشهرها قصة **شفاء المرأة النازفة**(*).

وقد استمر هذا الأثر التفاعلي للمس في الطقوس الليتورجية(**)حيث تتجلى في تقبيل الأيقونات(***)، ولمس صور القديسين، فيما يُعرف بـ "**الرؤية الملموسة tangible vision**"، ويقوم هذا المفهوم على الاعتقاد بأن النظر إلى الأيقونة ليس مجرد فعل بصري ، بل هو أيضاً شكل من أشكال اللمس العلاجي، ففي تجربة المؤمن مع الأيقونة، لا يقف على

---

٢. في معجزات السيد المسيح نقض فكرة النجاسة المرتبطة بالمرض خاصة البرص، وهو ما نراه في معجزات مثل شفاء الأبرص "فَأَتَى إِلَيْهِ أَبْرَصُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ جَاثِيًا وَقَائِلًا لَهُ: «إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرُ أَنْ تُطَهِّرَنِي» فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ وَمَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَهُ وَقَالَ لَهُ: «أُرِيدُ، فَاطْهُرْ!» فَلِلْوَقْتِ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ ذَهَبَ عَنْهُ الْبَرَصُ وَطَهَرَ»." (مر ١: ٤٠) .

٣. أصبحت الطاهرة والنجاسة في المسيحية غير مرتبطة باللمس المادي، بل بالذهن والقلب، وهذا ما يتضح من رسالة بولس الرسول إلى تلميذه تيموثاوس التي يقول فيها: "كُلُّ شَيْءٍ طَاهِرٌ لِلطَّاهِرِينَ، وَأَمَّا لِلنَّجِسِينَ وَغَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَيْسَ شَيْءٌ طَاهِرًا، بَلْ قَدْ تَنَجَّسَ ذِهْنُهُمْ أَيْضًا وَضَمِيرُهُمْ." (تي ١: ١٥).

إن كل هذه النقاط وغيرها تؤكد إن نظرة المسيحية للمس ابتعدت عن النظرة الدونية الأفلاطونية.(الباحثة)

(1)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense.p:75.

(*) معجزة شفاء نازفة الدم :تلك المرأة التي أصيبت بنزيف دموي استمر لمدة اثنتي عشرة سنة، وبخلاف الألم الجسمي والمُعاناة المستمرة، فهذه المشكلة جعلتها نجسة شرعًا حسب الشريعة اليهودية:" وَإِذَا كَانَتِ امْرَأَةٌ يَسِيلُ سَيْلُ دَمِهَا أَيَّامًا كَثِيرَةً فِي غَيْرِ وَقْتِ طَمْثِهَا، أَوْ إِذَا سَالَ بَعْدَ طَمْثِهَا، فَتَكُونُ كُلَّ أَيَّامِ سَيَلاَنِ نَجَاسَتِهَا كَمَا فِي أَيَّامِ طَمْثِهَا. إِنَّهَا نَجِسَةٌ .كُلُّ فِرَاشٍ تَضْطَجِعُ عَلَيْهِ كُلَّ أَيَّامِ سَيْلِهَا يَكُونُ لَهَا كَفِرَاشِ طَمْثِهَا. وَكُلُّ الأَمْتِعَةِ الَّتِي تَجْلِسُ عَلَيْهَا تَكُونُ نَجِسَةً كَنَجَاسَةِ طَمْثِهَا .وَكُلُّ مَنْ مَسَّهُنَّ يَكُونُ نَجِسًا، فَيَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ، وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ"(سفر اللاويين ١٥:٢٥) ، ولذلك كانت رغبتها أن تنال الشفاء هي التي دفعتها للمس السيد المسيح " وَامْرَأَةٌ بِنَزْفِ دَمٍ مُنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَقَدْ أَنْفَقَتْ كُلَّ مَعِيشَتِهَا لِلأَطِبَّاءِ، وَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تُشْفَى مِنْ أَحَدٍ، جَاءَتْ مِنْ وَرَائِهِ وَلَمَسَتْ هُدْبَ ثَوْبِهِ. فَفِي الْحَالِ وَقَفَ نَزْفُ دَمِهَا. فَقَالَ يَسُوعُ: «مَنِ الَّذِي لَمَسَنِي؟» وَإِذْ كَانَ الْجَمِيعُ يُنْكِرُونَ، قَالَ بُطْرُسُ وَالَّذِينَ مَعَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، الْجُمُوعُ يُضَيِّقُونَ عَلَيْكَ وَيَزْحَمُونَكَ، وَتَقُولُ: مَنِ الَّذِي لَمَسَنِي؟» فَقَالَ يَسُوعُ: «قَدْ لَمَسَنِي وَاحِدٌ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّ قُوَّةً قَدْ خَرَجَتْ مِنِّي». ٤٧ فَلَمَّا رَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّهَا لَمْ تَخْتَفِ، جَاءَتْ مُرْتَعِدَةً وَخَرَّتْ لَهُ، وَأَخْبَرَتْهُ قُدَّامَ جَمِيعِ الشَّعْبِ لأَيِّ سَبَبٍ لَمَسَتْهُ، وَكَيْفَ بَرِئَتْ فِي الْحَالِ. ٤٨ فَقَالَ لَهَا: «ثِقِي يَا ابْنَةُ، إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ، اذْهَبِي بِسَلاَمٍ». (إنجيل لوقا ٨: ٤٣).

(**) الليتورجية: الكلمة اليونانية" Λειτουργία ليتورجية" أي "خدمة"، ويُقصد بها العبادات والصلوات الجماعية بكل أنواعها ولكن استقر الرأي على إطلاق هذا الاصطلاح على القداس الإلهي تحديداً.

<< انظر: قاموس المصطلحات الكنسية ، مادة :" ليتورجيا | ليتورجية".

https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n-Ritual-Taks-Al-Kanisa/Dictionary-of-Coptic-Ritual-Terms/7-Coptic-Terminology_Kaf-Kaaf-Laam/Litorgia__Liturgy.html

(***) الأيقونة **Icon** : كلمة مشتقة من اليونانية" εἰκών" ، وتعني "صورة" أو "شبه" أو "مثال". وهي ليست مجرد عمل فني، بل تُصنع وفق أساليب دقيقة تستند إلى اعتبارات لاهوتية محددة، بهدف استخدامها في العبادة والتأمل الروحي، و تُصوِّر في الأيقونة عادةً شخصيات مقدسة مثل: السيد المسيح أو أحد القديسين، أو مشاهد دينية مثل الميلاد أو السقوط، وتحمل كل أيقونة في طياتها ثلاثة أبعاد رئيسة: بُعد تاريخي يربطها بحدث أو شخصية معينة، بُعد لاهوتي يعكس المفاهيم العقائدية التي تعبّر عنها، بُعد رمزي يمنحها معاني روحية تتجاوز ظاهر الصورة.

https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n-Ritual-Taks-Al-Kanisa/Dictionary-of-Coptic-Ritual-Terms/1-Coptic-Terminology_Alef/Aikoona__Icon.html

مسافة منها، بل تمتد نظرته لتلامسها، وكما تلامس عيناه الأيقونة، تلمسه أعينها بدورها، مما يخلق إحساساً مزدوجاً، فالمؤمنون يأتون أمام الأيقونة ليس فقط للنظر، بل ليُنظر إليهم أيضاً ،فيُشفوا. (١)

ولكن المفارقة تظهر في كتابات آباء ومفكري العصور الوسطى التي تباينت فيها الرؤية حول اللمس، ففي حين أن البعض أظهر دونية اللمس متأثرين بالفكر الأفلاطوني كالقديس أوغسطين الذي يشترك مع أفلاطون في اعتبار البصر هو الحاسة الأولى والأقرب إلي العقل؛ فيقول في كتابه "عن الثالوث المقدس (On the Holy Trinity): "**إن الإنسان الخارجي، المزوّد بالحس الجسمي، يتعامل مع الأجسام. وهذا الحس الجسمي، كما يُلاحظ بسهولة، ينقسم إلى خمسة أنواع: الإبصار، والسمع، والشم، والتذوق، واللمس. ولكن من المجهد إلى حد بعيد، وليس ضرورياً، أن نستجوب هذه الحواس الخمس كلها حول ما نبحث عنه. إذ إن ما يُعلنه واحد منها ينطبق أيضًا على سائر الحواس، فلنستخدم إذًا بالدرجة الأولى شهادة العينين. ذلك أن حاسة الإبصار هذه تتفوق بكثير على بقية الحواس، فهي أقرب إلى رؤية العقل**(*)". (٢) (**)

إن "أوغسطين"- مثله مثل أفلاطون_ ينظر إلى البصر باعتباره أوضح الحواس، وأقربها إلى إدراك الحقيقة، فبينما يرى أن التذوق والشم واللمس ترتبط بأشياء متغيرة ، وتختلف استجابتهم من شخص إلى أخر ، فإن البصر ويأتي بعده السمع، نظراً لما يتسمان به من طابع مشترك ، يوفران تشبيهات أكثر دقة لثبات الحقيقة وشمولها، فالألوان والأصوات يمكن أن يدركها أكثر من شخص في الوقت نفسه دون أن تتغير، مما يجعلها نموذجًا مناسباً لتمثيل الحقيقة الإلهية التي تتجاوز الفرد وتخاطب الكل، ولذلك فإن تشبيه الحقيقة بالرؤية والسمع يُبرز بعدها الشمولى الذي تتميز به الحقيقية(٣)

كما يتفق القديس "أوغسطين" مع أفلاطون أيضاً في كون الحواس لا تساعدنا في الوصول إلى المعرفة الحقيقية التي تتلخص لديه في معرفة الله، ففي كتابه " الاعترافات" يبدأ "أوغسطين" بفحص الحواس، فهو يرى أن الله قد نظم القدرة الإدراكية البشرية بحيث يكون

(1)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense.p:72

(*) "The outer man, then, endued as he is with the bodily sense, is conversant with bodies. And this bodily sense, as is easily observed, is fivefold; seeing, hearing, smelling, tasting, touching. But it is both a good deal of trouble, and is not necessary, that we should inquire of all these five senses about that which we seek. For that which one of them declares to us, holds also good in the rest. Let us use, then, principally the testimony of the eyes. For this bodily sense far surpasses the rest. And in proportion to its difference of kind, is nearer to the sight of the mind."

(2)Augustine, On the Holy Trinity,Trans.by: A. W. Haddan, E. Editions 2018,P:263

(**) يفرق "أوغسطين" بين ثلاث مستويات من الرؤية : المستوي الأول : وهو الرؤية الجسمية bodily vision : التي تري العالم المادي ،والمستوي الثاني: الرؤية العقلية mental vision الذي يشير إلى أفعال الإرادة والذاكرة والفهم والذكاء ،وهو ما يسميه عيون العقل the eyes of the mind، أما المستوي الثالث فهو المجال الذي لا يمكن إدراكه لا بالرؤية الجسمية ،ولا بالرؤية العقلية، ألا وهو مجال الأشياء التي لا يُدركها إلا الإيمان.

<<Cp: Augustine, Saint, and William John Sparrow-Simpson. The Letters of St. Augustine. Vol. 46. Macmillan, 1919,P:268>>

(3)Chidester, David. "Symbolism and the senses in Saint Augustine." Religion 14.1, Academic Press Inc. (London) Ltd. 1984,:P:36.

لكل حاسة مكانها ووظيفتها المتميزة. فيقول: "**خلق الرب هذه القدرة فيّ، فأمر العين ألا تسمع، والأذن ألا ترى، بل أعطاني عينًا لأرى بها، وأذنًا لأسمع بها**" (١) ، وفي مؤلفه "حرية الإرادة" يؤكد "أوغسطين" أن لكل عضو حسي موضوعه الإدراكي الخاص به، ثم يميز بين الإدراك الخارجي والإدراك الداخلي، فيصف "الحس الداخلي" بأنه المسؤول عن التقييم المباشر للتجربة الحسية ، وهذا الحس يتشاركه الإنسان والحيوان، لكن ما يميز الإنسان هو القدرة على "التعقل"، فبواسطة العقل يمكن التمييز بين الحواس(٢).

ويتساءل" أوغسطين": هل هناك ما هو أسمى من العقل؟ فيجيب بأن هناك ما هو أسمى، إنها "**الحقيقة**" التي تفوق الحواس، وتفوق الحس الداخلي، وتفوق حتى العقل الذي يميز بينها، فالحقيقة عند "أوغسطين" هي الله ذاته بوصفه الحق ذاته، نور العقول، ومصدر كل معرفة حقيقية (٣)، وقد عبر عن ذلك قائلاً: " **إن صلاحى وخيري كله بتمسكى بالرب إلهى، فهو الحق القائم والنور الدائم، حتي إذا انفصلت عنه لا يبقي لى وجود، ولا في نفسي**" . (٤)

إن رؤية "أوغسطين" للحواس بصفة عامة، وللمس بصفة خاصة تمثل مفارقة في حد ذاتها، فبالرغم من اقتناعه بأن الحواس جزء أساسي من الإنسان، وعنصر أساسي من عناصر المعرفة الإنسانية، إلا أنه– نتيجة لانسجامه مع التراث الأفلاطوني– أكد أن المعرفة الحقة لا تتم من خلال التلامس مع العالم الحسي، بل عبر عودة العقل إلى ذاته، ومن ثم إلى الله، ولكنه في حديثه عن تلك المعرفة الحقيقية– التي تتجاوز الحواس– يصفها بلغة تحشد فيها كل الحواس في صورة واحدة: فنحن نحتضن، نأكل، نشم، نسمع، ونرى الحقيقة " **هل نشكّ في أن الإنسان يكون سعيداً حين يعانق الحقيقة؟ ..... فهل ننكر أننا نكون سعداء حين نُمنح طعام الحقيقة وشرابها؟ كثيراً ما نسمع أصوات الناس تصرخ بفرح لأنهم يستلقون بين الورود والأزهار، أو يتلذذون بأطيب العطور، فأيّ عطر أزكى أو ألطف من أن نستنشق نَسيم الحقيقة؟ هل نتردد في القول بأننا سعداء عندما نستنشق عبيرها؟ هناك من يجعلون حياتهم السعيدة في موسيقى الأصوات..... ولكن، حين تصمت ضوضاء العقل (إن جاز التعبير)، ويتدفق إلى داخلنا صمت الحقيقة البليغ، ..... فهل نخشى إذن أن نُقيم الحياة السعيدة في نور الحقيقة؟**(٥)

إن رؤية "أوغسطين" تُعبر عن تجربة رمزية صوفية تتجاوز الإدراك الحسي، لكنه يصورها كتقارب مجازي لجميع الحواس، فيعلن أن تلك الحقيقة نفسها التي نحتضنها ونأكلها

(1)Augustine, The Confessions of Saint Augustine, trans.by: E. B. Pusey, Createspace Independent Pub,2002,book:10,p:151

(2)Augustine, On the Free Choice of the Will, trans.by: Peter King, Cambridge University Press,2010,P : 58

(3)Chidester, David. "Symbolism and the senses in Saint Augustine." Religion 14.1, Academic Press Inc. (London) Ltd. 1984,:P:35.

(٤) أوغسطين: الاعترافات، ترجمة: الخوري يوسف العلم، الكتاب السابع، الفصل الخامس، المعهد الإكليريكي الفرنسيسكاني، الطبعة السادسة، القاهرة، ١٩٨٧، ص ١٢٢

(5)Augustine, On the Free Choice of the Will, P : 58

ونشمها ونسمعها ونراها في الحياة السعيدة، هذه الحقيقة تُختبر ككل موحّد، لا كأجزاء منفصلة، ما يعكس وحدة التجربة الروحية التي تلامس الإنسان بكامل كيانه.(١)

و على الجانب الآخر نري رؤية أخري للمس عند القديس "**برناردوس الكليرفوري**"(**١٠٩٠-١١٥٣**) (*) الذي استخدام اللغة اللمسية في النصوص الدينية للتعبير عن قرب محبة الله، و استخدام اللمس كاستعارة للإيمان، واقترح أن اللمس يمكنه إدراك الحقائق الروحية التي تعجز حاسة البصر السطحية عن استيعابها(٢). فبينما لا يمكن إدراك الله من خلال البصر، فالإيمان... يمسك بما لا يمكن قياسه، ويقبض على الأبعد، ويحتوي حتى الأبدية نفسها في حضنه الواسع، فالمسيح يدعونا قائلاً:" **المسني بيد الإيمان، بأصبع الرغبة، بعناق المحبة**"(٣)

إن "كيرني" يرى إن تاريخ المسيحية الحقيقي هو قصة التواصل مع الجسد والانفصال عنه، ويعتبر لحظات الانفصال بمثابة خيانة لفكرة التجسد ذاتها(٤)، ولذلك يدعو" كيرني" إلى الاهتمام باللمس والتأكيد على أهميته كما ظهر في الكنيسة الأولى، التخلص من الأفكار الدونية للمس من أجل فهم أعمق لمعنى التجسد وحقيقة العلاقة بين الإنسان والإله. (٥)

٣. الفينومينولوجيا المعاصرة ومحاولة استعادة مكانة اللمس:

كما رأى "كيرني" أن أفكار أرسطو عن اللمس كانت تمثل ثورة في مجال الفكر، فها هو يعلن لنا أن الموجة الثورية الثانية كانت في بدايات القرن العشرين، حين أعلن " إدموند هوسرل" عن بداية المنهج الفينومنينولوجي، ودعا الفلاسفة إلى ما أسماه " العودة إلى الأشياء ذاتها back to things themselves" (٦) في محاولة لتخطي أزمة الثنائيات التقليدية بين النفس والجسم، والفكر والامتداد، ومحاولة البحث في ظواهر الوجود كما تظهر لنا دون أن نُقحم مقولاتنا الخاصة أو أحكامنا المسبقة(٧).

---

(1)Chidester, David. "Symbolism and the senses in Saint Augustine,P:35,36 .

(*) "برناردوس الكليرفوري Saint Bernard of Clairvaux "(١٠٩٠-١١٥٣): راهب ومتصوف فرنسي، ويُعتبر أحد أكثر الشخصيات تأثيراً في الكنيسة خلال القرن الثاني عشر، له العديد من المؤلفات التي كان لها تأثير كبير في الروحانية المسيحية واللاهوت في العصور الوسطى، مثل "في محبة الله ON LOVING GOD" الذي يناقش فيه أسباب ومراتب محبة الله، و يؤكد أن الإنسان يجب أن يحب الله لأجل ذاته، لا لمنافع دنيوية" في تأملات حياة المسيح وآلامه" التي "تُعد مثالاً رائعًا للتصوف العاطفي في العصور الوسطى، بالإضافة إلى "رسائل" وهو يحتوى على أكثر من ٣٠٠ رسالة تناولت قضايا لاهوتية وسياسية واجتماعية"

<< Cp: Meyer, John Richard. "St. Bernard of Clairvaux". Encyclopedia Britannica, 11 Mar. 2025, https://www.britannica.com/biography/Saint-Bernard-of-Clairvaux. Accessed 4 April 2025.

(2)Classen, Constance. The deepest sense: A cultural history of touch. University of Illinois Press, 2012,P:30

(3)Bernard of Clairvaux, Collection, AeterrnaPressm,2016,P:1568.

(4)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense.p:79.

(5) Woody, William C. ,,The Incarnation Changed Everything: Reflections on Kearney's Touch,P:144,145.

(6)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense.p:34

(٧) مجدي عزالدين. "فينومينولوجيا الجسد عند ميرلوبونتى، مجلة لوغوس ، جامعة تلمسان ،العدد ٩، ٢٠١٨،ص٣٣.

وبالطبع كان للنظرات المتدنية للجسد مكاناً في ثورة "هوسرل" على التراث الفلسفي التقليدي، ففي كتابه " الأفكار"(*) يستعرض "هوسرل" نظرته للجسم ودوره الأساسي في الإدراك، كما يتطرق لدور الحواس في المعرفة، ومنها تتضح رؤيته لحاسة اللمس، ويمكن أن نعرض أهم هذه الملامح في النقاط التالية:

- يبدأ "هوسرل" بتأكيد أن الجسم ليس مجرد جسد مادي، يخضع لقوانين الفيزياء، كما تفعل العلوم التجريبية (١)؛ بل هو الأداة التي نعيش من خلالها تجربتنا في العالم، ففي كل إدراك يتعلق بالأشياء التي يتعين لها شكل، أو تشغل حيزاً مكانياً، يكون الجسم حاضراً وضرورياً ، ليس كجسم نراه من الخارج، بل كجسر يربطنا بالعالم ويجعلنا نختبره من الداخل.(٢)

- يُبرز" هوسرل " الطبيعة المزدوجة للجسم، من خلال التميز الذي أقامه بين مفهوم "Körper" أو " the Corporeal body" أي الجسد المادى كما يخضع للقوانين الفيزيائية والكيميائية فقط، والجسم الحي أو المعيش"Leib" " **Lived body or animate body**" أي الجسم كوسيط للشعور، والإدراك، والحركة، والوعي (٣) ، ولا يقصد "هوسرل" بذلك إقامة صورة جديدة من الثنائيات المتقابلة ، ولكنه من جانب يؤكد أن الجسم (ذاتي – موضوعيsubjective–objective) أي أنه يجمع بين كونه أداة للإدراك وموضوعاً للإدراك في الوقت نفسه(٤).

- من جانب آخر يرفض "هوسرل" التمييز الشائع في الفكر الفلسفي بين الجسم والنفس، أو الادعاءات بتسامي إحداهما ، ودونية الآخر ، ولكنه يؤكد أن الجسم والنفس لا يمكن فهم إحداهما بمعزل عن الآخر، فالجسد المادي وحده لا يكون جسماً إنسانياً حقيقياً، إلا إذا كانت هناك تغيرات نفسية ترافقه، فحين ينفعل الإنسان أو يتألم أو يفرح، تحدث تغيرات في نفسه، وهذه التغيرات تظهر أو تُعاش في جسمه (نغضب فيحمرّ وجهنا، نخاف فترتجف أيدينا...)، وبهذا التفاعل يصبح الجسد "جسماً إنسانياً" لا مجرد مادة، وفي المقابل النفس أيضاً ليست

(*) كتاب الأفكار المتعلقة بفينومينولوجيا خالصة وفلسفة فينومينولوجية، الكتاب الثاني، أو أفكار II : هو مجموعة من الدراسات في فينومينولوجيا التكوين، ويُعد من أكثر أعمال "هوسرل" أصالة ونجاحًا، رغم أنه نُشر بعد وفاته، ويبدأ هذا الكتاب بمناقشة "فكرة الطبيعة" بوجه عام، ثم ينتقل إلى دراسة الطبيعة المادية، والحيوانية، والإنسانية، حيث تُشكل الطبيعة الإنسانية مجال "الشخصانية" و"الروح، .وفي تحليله لطبيعة "الأنا الشخصية"، يناقش "هوسرل" العلاقة بين ما أسماه الجسم الحي أو المعيش (Leib) والعالم المحيط، وكان عرضه لتكوين الجسم المعيش مؤثرًا للغاية، خاصةً من خلال تحليله لما يُعرف بالإحساس المزدوج(**double sensation**) ، وتشابك حاستي اللمس والبصر.

<<cp: Husserl, Edmund. Ideas Pertaining to A Pure Phenomenology and to A Phenomenological Philosophy, Second book: Studies in The Phenomenology of constitution. Trans.by: Rojcewicz,Richard, Kluwer Academic Publishers ,Vol. 3 , 1989.

Moran, Dermot, and Joseph Cohen. The Husserl dictionary, Art." Ideas Pertaining to a Pure Phenomenology and to a Phenomenological Philosophy, Second Book (deas 11) ", Continuum International Publishing Group, 2012,P: 156,157.>>

(1)Husserl, Edmund: Phenomenology of Embodiment." Internet Encyclopedia of Philosophy, https://iep.utm.edu/husspemb/#H1. Accessed 1 July 2025.

(2)Husserl, Edmund. Ideas Pertaining to A Pure Phenomenology and to A Phenomenological Philosophy,P: 152.

(3)Husserl, Edmund. Ideas Pertaining to A Pure Phenomenology and to A Phenomenological Philosophy, &.Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense.p:34

(4) Moran, Dermot, and Joseph Cohen. The Husserl dictionary, Art." Lived body or animate body ,Leib ",P:193.

كياناً مستقلاً عن الجسم، بل إن ما يحدث فيها من حالات نفسية يكون له أثر جسدي واقعي؛ فالعلاقة بين النفس والجسد علاقة تبادلية، حيث يتجلى كل منهما، ويأخذ معناه من خلال الآخر، وهذا يعني أن الإنسان لا يُختزل إلى جسد فقط ، ولا إلى نفس فقط، بل هو وحدة حية تتكوّن من تفاعل مستمر بين الجسم والنفس(١).

• بناء على هذا التصور الذي يُلاشي فيه "هوسرل" الانفصال والتمييز بين الجسد والنفس، يصبح الجسم عند "هوسرل" هو المركز الذي ننطلق منه نحو الأشياء،وبالتالي يصبح الإدراك لا ينفصل عن الجسم، بل يُنظر للجسم باعتباره في المقام الأول وسيطاً لكل إدراك، وهو أيضاً عضو للإدراك ،وكما أنه بالضرورة مشارك في كل إدراك"(*)، ليس ذلك فحسب، بل إن كل إدراك يبدأ من الإحساسات الجسمية التي يسميها "هوسرل" " Hyletic data "(*) المعطيات الهليتيكية قاصداً بها المكونات الحسية للتجربة القصدية، أي المحتوى الحسي الخام أو "المادة (*Stoff*) "للأفعال الحسية مثل الرؤية، والسمع، واللمس(٢). إن "هوسرل " يريد أن يؤكد على أنه قبل أن يكون لدينا إدراك عقلي أو قصد شعوري تجاه العالم، هناك أحاسيس خام وغير مُفسّرة نختبرها من خلال أجسادنا – مثل الشعور بالدفء، أو الألم، أو الثقل، أو التوتر. هذه الأحاسيس تشكّل ما يمكن اعتباره مادة أولية للوعي، والتي يبني عليها الوعي لاحقًا عملياته القصدية مثل الانتباه، والحكم، أو حتى التفكير. (٣).

• يلفت "هوسرل" النظر إلى أن تلك المعطيات الحسية لا يجب أن تُفهم كمجرد أدوات لجمع المعلومات، أو "كبيانات حسية منفصلة"، بل هي جزء من المحتوى "الواقعي" أو "الداخلي" للتجربة؛ أي أنها مكونات أصيلة للتجربة المعيشة الممتدة زمانيًا، وتنشأ وتختفي معها (مثل اللون المرئي، أو الصوت المسموع). (٤)

• إن تلك المعطيات الحسية بالطبع مصدرها الحواس، فكل الحواس كالبصر، والسمع، والشم واللمس تعمل من خلال الجسم، ولكن من بين هذه الحواس يعطي "هوسرل" لحاسة اللمس أهمية خاصة، فيقول:**"لا يمكننا إدراك الجسم إدراكًا حقيقياً إلا من خلال حاسة اللمس، وكل الأحاسيس المرتبطة بها مثل الدفء، والبرودة، والألم، وغيرها، والتي نشعر بها في**

(1)Ibid, P:353

(*)"The Body is, in the first place, the medium of all perception; it is the organ of perception and is necessarily involved in all perception"

<<CP. Husserl, Edmund. Ideas Pertaining to A Pure Phenomenology and to A Phenomenological Philosophy,P:61>>

(*) مصطلح " هيولى" **Hyle** "" هو في الأصل كلمة يونانية قديمة استُخدمت في الأصل عند أرسطو للدلالة على المبدأ المادي الذي تُشكّله الصورة (**morphe**) لكي تنتج الشيء المادي، أما "هوسرل" فيستخدم المصطلح بصيغته المترجمة "**hyle**" أو "المادة الهيليتيّة" أو "الجوهر الحسيّ (**stuft**) "للإشارة إلى العناصر الحسية التي تتكوّن منها تجاربنا القصدية، مثل: أفعال الإدراك، والإرادة، والحكم، وغيرها.

<<CP. Moran, Dermot, and Joseph Cohen. The Husserl dictionary, Art." *Hyle* ".P: 150 >>

(2)Husserl, Edmund. Ideas Pertaining to A Pure Phenomenology and to A Phenomenological Philosophy, P: 160& Moran, Dermot, and Joseph Cohen. The Husserl dictionary, Art." Hyletic data".P: 151.

(3)Moran, Dermot, and Joseph Cohen. The Husserl dictionary, Art." Hyletic data".P: 151.

(4)Husserl, Edmund. Ideas Pertaining to A Pure Phenomenology and to A Phenomenological Philosophy, P: 160& Moran, Dermot, and Joseph Cohen. The Husserl dictionary, Art." Hyletic data".P: 151.

مواضع محددة من الجسم(*) ، ويقصد بذلك أن اللمس هو الحاسة الأساسية التي يتكوّن من خلالها إدراكنا الحقيقي للجسم أي أن الجسم لا يُدرك بوصفه "جسماً حيًّا" من خلال الرؤية أو السمع مثلًا، بل من خلال الإحساسات اللمسية التي لها موضع محدد في الجسم، كالشعور بالبرودة في اليد، أو بالألم في الكتف. (١).

- ويعطي" هوسرل" حاسة اللمس مكانة متميزة بين سائر الحواس، ويرجع ذلك التميُّز إلى أسباب متعددة نذكر منها :

- **اللمس مرتبط بالجسد بوصفه أساس الإدراك:** فاللمس عند " هوسرل" ليس مجرد حاسة تمرّ عبرها الأحاسيس، بل هو مرتبط ارتباطًا مباشرًا بجسمنا نفسه. فالجسم هو المكان الذي نستقبل فيه العالم ونختبره، وعن طريق حاسة اللمس أكون دائمًا في العالم إدراكيًا، وأستطيع أن أجد طريقي فيه، وأستطيع أن أفهم وأتعرف على كل ما أريد(**)، إنه الأداة التي تجعل هذا الحضور الجسمي حيًّا وفعّالًا، ولهذا يُعتبر اللمس أكثر التصاقًا بالتجربة الجسمية من الرؤية.(٢)
- **اللمس يضمن الاتصال المستمر بالعالم:** وهو ما يميزه عن سائر الحواس التي يمكن أن تتعطل لغياب العضو أو غياب الوسيط، على سبيل المثال: غياب الرؤية أو تعطلها كما يحدث في الظلام أو عند إغلاق العينين، أما اللمس فهو حاسة لا تنفصل عن الجسم، بل تعمل من خلاله بوصفه الوسيط الحي الذي يضمن استمرارية العلاقة الحسية بالمحيط، وفي بعض الحالات التي قد نمر بها مثل ضعف الإضاءة أو تشوش الرؤية، يتفوق اللمس على البصر في دقة التمييز، وإدراك التفاصيل الدقيقة، مما يمنحه أولوية في التكوين الإدراكي للشيء.
- **اللمس يكشف عن وحدة الشيء رغم تعدد الحواس:** فهوسرل يرفض تمييز الشيء حسب الحواس (شيء مرئي، شيء ملموس...)، بل يرى أن اللمس يسهم في خلق وحدة الشيء عبر ما أسماه" الإدراك التفسيري الموحّد"، خصوصًا حين يغيب اللون أو تضعف الرؤية.
- **يوفّر اللمس تمييزات أكثر دقة ووضوحًا:** فاللمس يَكشف عن خواص لا تُدركها الرؤية، فهو لا يُعيد إنتاج اللون أو اللمعان، لكنه يُقابلها بخصائص حسية مختلفة مثل النعومة، والحرارة، الخشونة، وهذا يعني أن اللمس لا يتبع الرؤية بل يؤسس نظامًا إدراكيًا مستقلًا متكاملًا معها.(٣)

(*)The Body as such can be constituted originarily only in tactuality and in everything that is localized with the sensations of touch: for example, warmth, coldness, pain, etc

(1)Husserl, Edmund. Ideas Pertaining to A Pure Phenomenology and to A Phenomenological Philosophy, P: 159.

(**) By means of the sense of touch, I am always in the world perceptually, I am able to find my way around in it, and I can grasp and get to know whatever I want

<< CP: Husserl, Edmund. Ideas Pertaining to A Pure Phenomenology and to A Phenomenological Philosophy,P:74>>

(2)Husserl, Edmund. Ideas Pertaining to A Pure Phenomenology and to A Phenomenological Philosophy,P:76.

(3)Husserl, Edmund. Ideas Pertaining to A Pure Phenomenology and to A Phenomenological Philosophy,P:74.

• وأخيرا يؤكد "هوسرل على تميز حاسة اللمس من خلال فكرة الإدراك المزدوج : فالإحساسات اللمسية عند "هوسرل" لها مكانة استثنائية، لأنها – بخلاف غيرها من الانطباعات الحسية – تنطوي على تجربة مزدوجة: تجربة الشيء الملموس وتجربة الجسم الذي يلمس"(*). فعلى سبيل المثال: عندما تلمس يدي اليد الأخرى، أشعر بها، لكنني أيضًا أشعر أنني أنا من أشعر – وهذا ما يسميه "هوسرل" **بالإدراك المزدوج** double apprehension " ، أي أن الجسد لديه إحساس بنفسه وهو يحاول أن يتحسس الأشياء. هذه "الازدواجية" تجعل اللمس حاسة فريدة تربطنا بالعالم وبأنفسنا في آنٍ معًا. (١) (**)

لقد تركت أفكار "هوسرل" حول الجسد والإدراك اللمسي أثرًا بالغًا في الفلسفة المعاصرة"، وقد تبنّى العديد من مفكري الفينومينولوجيا اللاحقين اكتشافات "هوسرل"، لكنهم أعادوا تأويلها في إطار أنطولوجي، أي باعتبارها تكشف عن طبيعة الوجود نفسه، وليس فقط عن كيفية معرفتنا به، أما هوسرل، فكان اهتمامه منصبًا على المعرفة، حيث رأى أن الجسد المعيش ليس مجرد وسيلة نستخدمها في الحياة اليومية، بل هو جزء أساسي من الطريقة التي نعرف بها العالم ونفهمه. ولهذا كانت تحليلاته عن اللمس مهمة جدًا لفهم العلاقة الأولى بين الإنسان والعالم من خلال الجسد. (٢)

ثالثاً: أبعاد اللمس عند "كيرني" تجربة إنسانية شاملة:

"عندما نتحدث عن اللمس، فإننا لا نشير فقط إلى أحد الحواس الخمس، أي حاسة اللمس الجسمية –رغم أن ذلك أيضًا جزء من المقصود بطبيعة الحال – بل إننا نتحدث عن اللمس بمعناه الأوسع، باعتباره أسلوبًا مجسّدًا للوجود في العالم، ونهجًا وجوديًا في التعامل مع الأشياء يتّسم بالانفتاح والقابلية للتأثر."((***)(٣)

تمثل اللمسة الإنسانية لغزًا عميقًا في جوهرها، فهي تتجاوز حدود التقارب الفيزيائي بين جسمين، لتصبح تجربة متعددة الأبعاد تتداخل فيها الحواس والمعاني، فاللمس من جهة يشكل وسيلة إدراكية لاستكشاف الخصائص الفيزيائية للعالم، مثل الدفء والبرودة، والصلابة والمرونة، والخشونة والنعومة، ومن جهة أخرى يحتل موقعًا محوريًا في التجربة الإنسانية عبر أدواره الاجتماعية والعاطفية، حيث يعبر عن مشاعر الحب والكراهية، المساندة والتشجيع، وغيرها من ألوان الانفعال الإنساني، كما يُعد اللمس وسيطًا أساسيًا لتجارب اللذة

(*)for Husserl, and many others after him, tactile sensations have an exceptional status, because, unlike all other sensory impressions, they imply a double experience. This idea of a double experience means that tactile sensations allow for the experience of two objects, namely the object touched and the touching object, i.e., the perceiver's body

<< Mattens, Filip. "Perception, body, and the sense of touch: Phenomenology and philosophy of mind." Husserl Studies 25.2 (2009):99>>

(1)Husserl, Edmund. Ideas Pertaining to A Pure Phenomenology and to A Phenomenological Philosophy, P: 152.

(**) فكرة الإحساس المزدوج كانت احدي الأفكار التي كان "ريتشارد كيرني" متأثر بها، ورأي أن المسيحية قد ادركت هذه الازدواجية، وأوضح ملامحها من خلال معجزات السيد المسيح التي سبق الإشارة إليها.

(2)Husserl, Edmund: Phenomenology of Embodiment." Internet Encyclopedia of Philosophy, https://iep.utm.edu/husspemb/#H1. Accessed 5 July 2025.

(***))" when we speak of touch we are not just referring to one of the five senses, tactility— though that too, of course. We are talking about touch in a more inclusive way, as an embodied manner of being in the world, an existential approach to things that is open and vulnerable"

(3) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p: 15, 16.

والألم، ويتضمن في بنيته أبعاداً أخلاقية وقيمية، حيث يميز بين الطاهر والنجس، والمقدس والمدنس. (١)

وانطلاقًا من هذا التعقيد الغني، يبدأ "كيرني" تحليله لحاسة اللمس، ساعياً إلى الكشف عن أبعادها المختلفة وكيفية تداخلها مع بقية الحواس، بهدف إعادة تشكيل رؤيتنا للمس، ليس بوصفه مجرد إحساس جسدي، بل باعتباره **طريقة لفهم العالم والوجود.**

أ. **الحس اللمسي والحكمة الجسدية:**

إن الحكمة الجسمية للَّمس –والتي أُسميها اللباقة الجسمية _(tact) _ لا تعمل فقط في حاسة اللمس نفسها، بل تمتد لتشمل الحواس الأخرى أيضًا :الذوق، والشم، والبصر، والسمع.

فاللباقة الجسمية هي تجربة حسية متداخلة في جوهرها ممتدة في كل اتجاه(*) (٢)

كما استخدم "كيرني" سابقاً مفهوم "التجسد" و"النزوع عن الجسد" في تشخيصه لأزمة اللمس، يستخدم "كيرني" هنا مفهوم جديد، وهو مفهوم " **الحس اللمسي tact**" أو "**اللباقة الجسدية**" كأحد المفاتيح الأساسية في رؤيته لحاسة اللمس.

في البداية يبحث "كيرني" في الأصول اللغوية لثلاثة مترادفات تحمل معني اللمس، وهي"touch"، "tact"، "contact" و يجد أن المترادفات الثلاثة تعود في أصولها اللاتينية إلى الفعل "tangere"، الذي يعني "أن يلمس"، وقد اشتُقت منه كلمة tactus التي انتقلت عبر اللغات الأوروبية إلى معانٍ متنوعة منها كلمة "touch"الإنجليزية، والتي كانت تعني في البداية "الطرق أو الضرب"، قبل أن يتحوّل معناها إلى "اللمس الخفيف" أو "التلامس الجسمي المباشر"، ومن الملاحظات التي يسجلها معجم "أكسفورد" أن معنى اللمس لغوياً بدأ بوصفه "أثراً للقوة" ، ثم تطور ليعبر عن الحساسية الدقيقة ، والتفاعل الرقيق(٣)، وتتشابه معها كلمة " contact" والتي تعني حرفياً " التواصل اللمسي" ، وبالرغم من احتفاظها بمعني التلامس الفيزيائي ،إلا إنها في تطورها أصبحت تدل على العلاقة الإنسانية والتواصل المتبادل. (٤)

أما كلمة " tact" أو الحس اللمسي، فتشير في معناها إلى "**دقة التمييز في الفعل أو السلوك، واللباقة، والإدراك الحدسي لما هو الأفضل في القول أو الفعل(**)**"، وبهذا لم تعد

---

(1)Fulkerson, Matthew. The first sense: A philosophical study of human touch, P: xi.

(*) " the carnal wisdom of tactility— what I call tact—functions not only in I touch you with my eyes, I watch you with my hands I see with my fingertips what my eyes touch, touch itself but in the other senses as well: taste, odor, sight, and hearing. Tact is synesthetic through and through.

(2) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p:9

(3)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p:9 & Touch, Etymology of touch by Etymonline. (n.d.). Online Etymology Dictionary. Retrieved April 25, 2025, from https://www.etymonline.com/word/touch

(4)Contact, Etymology of contact by Etymonline. (n.d.). Online Etymology Dictionary. Retrieved April 25, 2025, from https://www.etymonline.com/word/contact

(**) "fineness of discernment in action or conduct, diplomacy, intuitive mental perception of what is best to do or say"

الكلمة تشير إلى مجرد لمس حسي، بل تحولت إلى سلوك تواصلي يحمل أبعاداً أخلاقية وفكرية، يُجسّد القدرة على إدراك ما يجب فعله أو قوله في المواقف الدقيقة، وكأنها تمثل جانباً من الذكاء الجسمي والاجتماعي. (*) (١)

ومن جانب آخر يربط "كيرني" بين هذه المصطلحات الثلاثة، ومصطلح الحكمة "sapientia" الذي تعود أصوله اللاتينية إلى الفعل " sapere " أي "يتذوق"، ومنها تظهر أيضاً العلاقة الاشتقاقية بين ثلاث أفعال هي: " يتذوق sapere "،" يتلذذ savour "، " يعرف savoir "، مما يعني_ وفقاً لكيرني _ أن"**المعرفة الأصيلة تُذاق و تُلمس**(**). (٢)

إن هدف "كيرني" من هذا البحث الاشتقاقي هو محاولته تحدي الإرث الفلسفي المثالى بوجه عام، والأفلاطوني بشكل خاص، الذي كان يُقرن الحكمة بالفكر النظري المجرد، أما "كيرني" فالحكمة عنده ليست نتاجاً للعقل المجرد وحده، بل هي معرفة تتبع من الجسم، ومن الحواس، ومن التلامس الحي مع العالم، حتى يصل بنا في النهاية إلى التصريح المباشر بأن مفهوم الحس اللمسي أو اللباقة الجسمية هي المرادف الحقيقي لمفهوم الحكمة أو المعرفة الحقيقية فيقول: " **في النهاية يمكننا القول إن الحكمة هي الحس اللمسى**"(***)(٣).

عندما تحدث "ديكارت" عن الفلسفة باعتبارها "دراسة الحكمة"، كان يشير إلى أن الحكمة تتمثل في المعرفة الكاملة لكل ما يستطيع الإنسان أن يعرفه، سواء لتدبير شؤون حياته، أو لحفظ صحته، أو لاستكشاف الفنون، حينها ربط "ديكارت" هذه المعرفة بالوصول إلى المعرفة الأولى والمبادئ الأولى التي يمكن أن نستنبطها عقلياً في بداهة ووضوح(٤)،أما "

(*) يتفق التعريف اللغوي لكلمة" tact" مع ما جاء في موسوعة "لالاند"، حيث يذكر أن كلمة " Tact" تقال على كل إحساس وبخاصة حاسة اللمس، وبنحو خاص يطلق على مختلف أنواع الأحاسيس التي تضمها اللغة تحت مسمى اللمس، وترتبط أيضاً بإدراك الإحساس بالسمات الملموسة لجسم ما مثل خشن ،حريري، لزج، ثقيل ، وما شابه ذلك ، أما المعني المجازي للكلمة فهي تشير إلى " حدس أكيد ودقيق لما هو مناسب قوله أو عمله ،حتى لا يؤذي الآخر، أو يزعجه، ونجد تعقيباً وتساؤلاً يطرح في الحاشية، إذ يتساءل هل تقترب معنى "tact" في معناها الذي يشير إلى الحدس من مفهوم" الروح اللطيفة The Spirit of Finesse " عند باسكال (١٦٦٢-١٦٢٣) ، وبالبحث وجدنا أن "باسكال" في كتابه " خواطر Pensées يميز بين "الروح الهندسية the spirit of geometry " التي تعتمد على التفكير المنطقي والتحليل الدقيق القائم على المنطق، والبرهان، والتحليل الرياضي، وهي تُعنى بما هو واضح، ثابت، وممنهج. ، بينما" الروح اللطيفة "فهى تشير إلى نوع من الإدراك الحدسي، الفوري، والمرهف، لا يعتمد على خطوات منطقية بل على الفهم العميق للبشر، والعلاقات، والمواقف الأخلاقية أو النفسية المعقدة. و يؤكد "باسكال" أهمية كلا النوعين ،و لكن المشكلة تظهر عندما نعتمد فقط على التفكير التحليلي ونُهمل الحدس، فالعقل المنطقي قد يكون دقيقًا لكنه بطيء، أما العقل الحدسي فهو مرن وسريع، ويؤكد" بسكال" أن الفهم الإنساني الحقيقي يحتاج إلى مزيج من العقل والمنطق والحدس معًا.

<< أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل احمد خليل، مادة:" Tact"، منشورات عويدات ،ج(٣)، ط(٢)،بيروت، ٢٠٠١ ،ص١٤٢٢.

- بليز بسكال: خواطر، ترجمة: أدوار البستاني، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت،١٩٧٢، ص ٧-٩>>

(1)Tact, Etymology of tact by Etymonline. (n.d.). Online Etymology Dictionary. Retrieved April 25, 2025, from https://www.etymonline.com/word/tact

(**) "our deepest knowing is tasting and touching"

(2)Kearney, Richard.The Wager of Carnal Hermeneutics, P: 16.

(***) "Wisdom, in the end, is tact."

(3)Kearney, Richard.The Wager of Carnal Hermeneutics, P: 16.

(٤) رينيه ديكارت: مبادئ الفلسفة، ترجمة عثمان أمين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٣م، ص ٣.

كيرني"، فيقدم تصوراً مختلفاً للحكمة، إذ يرى أن الحكمة الحقيقية تكمن في قدرة الإنسان على اللمس الجيد، أو بعبارة أخرى، في استخدام الحاسة اللمسية واللباقة الجسدية بحكمة وحساسية ، ويستدل "كيرني" على ذلك بملاحظته أننا حين نصف شخصًا بأنه "عاقل"؛ فإننا في الواقع، نصفه بأنه **شخص حساس** (*)، أي انه يمتلك تلك اللمسة الحقيقية، لمسة المعالج والمعلم والفنان والعاشق ، فاللمسة الصحيحة تعني أن تلمس، و أن تُلمس بحكمة، كما أن اللمس الجيد يعني أن تعيش الحياة كما يجب أن تعاش(**). (١)

وكما كانت الحكمة النظرية عند "ديكارت" لازمة لتدبير حياة الإنسان وحفظ صحته واستكشاف الفنون، فهكذا أيضاً الحس اللمسي عند "كيرني"، إذ يرى أن الحس اللمسي أو الإدراك المشبع باللباقة الجسمية — عبر جميع الحواس — هو ما يضمن علاقة متبادلة سليمة بين المُدرِك وما يُدرَك، وحضور هذه اللباقة أو غيابها هو ما يُميز بين الذوق الحسن والرديء، والرؤية السديدة والخاطئة، والرائحة المقبولة والمنفّرة، والصوت المتناغم والمزعج. (٢)

إن ذلك الحس اللمسي "Tact"، أو الإدراك المشبع باللباقة الجسمية عندما يتغلغل داخل الحواس يغير من طبيعتها ونظرتنا إليها، فنرى :

- **حاسة البصرSight :** يشير" كيرني" إلى أن غياب الحس اللمسي"tact" عن حاسة البصر يجعل من النظر مجرد فعل للمراقبة، ويضفي الشيئية على المنظور إليه، فهو يُعامل العالم كموضوع خارجي جامد، أما حضور الحس اللمسي في مجال الإبصار، فيحوله من كونه فعلاً مباشراً، إلى فعل اختراق للظاهر نحو الباطن، حيث تتجاوز العين حدود السطح لتنفذ إلى عمق الكائنات، وهنا يظهر بوضوح دور" الحس اللمسي" عند "كيرني"؛ إذ ينقلنا من حدود النظرة السطحية للبصر ليكشف عن مستويات أعمق من الإدراك، إلى ما يسميه "كيرني" **البصيرة Insight**"(***).

إن البصيرة هنا عند "كيرني" تعني: النفاذ إلى جوهر الأشياء، ورؤيتها من الداخل، وهي تتضمن في بنيتها مفهوميْن أساسيَّيْن: مفهوم الاستبصار أو الإدراك القبلي Foresight: ويُقصد به "الإحساس بعواقب أفعال المرء، بنظرة نحو المستقبل."، والمفهوم الثاني الاستدبار أو الإدراك البعدي – Hindsight: أي " تعلُّم

(*) "when we say that someone sensible is someone sensitive"

(**) "To have the right touch is to touch and be touched wisely. Touching well is living well"

(1)Kearney, Richard.The Wager of Carnal Hermeneutics,P: 16.

(2)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p:17

(*) (***)البصر (Sight) يشير إلى القدرة الحسية الفيزيائية على رؤية الأشياء عبر العين، أي الإدراك الخارجي للمحسوسات، أما كلمة "***insight***" فهي مركبة من مقطعين: الحرف ***in*** بمعنى "في"، والاسم ***sight*** بمعنى "رؤية"، ليشير معناها الحرفي إلى. "رؤية ما هو إلى داخل الشيء، ولكن معناها الدلالى يشير إلى ما يعرف بـــ "الرؤية بعين العقل" أو "الإدراك الذهني الداخلي"، وقد تطور هذا المعنى الدلالي في القرن السادس عشر (١٥٨٠م) لتشير الكلمة إلى "الفهم النافذ والعميق لطبيعة الأشياء أو لجوهرها الخفي".

<<Cp: "sight." Online Etymology Dictionary, www.etymonline.com/word/sight. Accessed 3 July 2025.

"Insight." Online Etymology Dictionary, www.etymonline.com/word/insight. Accessed 3 July 2025.>

الدروس من أخطاء الماضى."(*)،واجتماع هذه الأبعاد في تجربة البصيرة يُنتج ما يسميه كيرني الرؤية"Vision": ويقصد بها تلك الطريقة الشمولية في إدراك الأشياء، وتعتمد هذه الطريقة على وجود علاقة إدراكية متبادلة بين الذات والعالم: حيث "يدرك المرء أنه يُرى بقدر ما يَرى"، و هذه الرؤية ليست قائمة على العين بوصفها عضواً حسياً بصرياً ، بل كما يعبّر كيرني تقوم على ما يسميه"عيون القلب " eyes of the heart". (١)

وهنا يشير كيرني إلى لحظة خاصة في تكوين الرؤية، تلك اللحظة التي تتقاطع فيها آفاق الماضي والمستقبل لتضيء الحاضر، ويعبر عنها بالمصطلح الألمانيAugenblick أي "اللحظة"، ولكنها بالطبع لا تشير إلى لحظة زمانية عابرة كـ"ثانية" أو "لحظة وقتية" فحسب، بل يمكن القول إنها لحظة بالمعني الذي يقصده "هايدجر" فيسميها" لحظة الرؤية the moment of vision" ((**) باعتبارها لحظة وجودية يحدث فيه انكشاف للوجود، وتجلٍ للحقيقة. (٢)

إن البصيرة كرؤية تتجاوز بكثير الآن الزمانية. إنها نوع من الرؤية الشاملة، التي يكتسبها القلب، والتي من خلالها يمكن تدبر الماضي واستشراف الحاضر، وحتى المستقبل، فبالبصيرة يمكنك التنبؤ بما سيحدث في المستقبل، بخلاف العين التي ترى بها الخارج، أما القلب فيشعر ويرى باطن الشخص أو الموقف. (٣)، ويلاحظ "كيرني" أن هذا النوع من الرؤية العميقة قد ورد في بعض التقاليد الفلسفية والدينية القديمة(***)، حيث غالباً ما اقترن بغياب حاسة البصر الجسمية المباشرة، كما لو أن فقدان البصر يفتح المجال أمام بصيرة أشدّ حضوراً وعمقًا.

(*) Seeing into the heart of things is called insight. Being sensitive to the consequences of one's action, with an eye to the future, is foresight. Learning from past errors is the wisdom of hindsight

<<cp: Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense,P:24

(1)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p:25

(**) يشير مصطلح اللحظة (Augenblick– moment of vision) عند "هايدجر" إلى لحظة وجودية متميزة لا تُختزل في مجرد "الآن" الزمني العابر، بل تمثل أسلوبًا خاصًا في الحضور والانفتاح على العالم. إنها لحظة حاسمة يستيقظ فيها الإنسان على حقيقته، ويرى بوضوح إمكاناته، فيتخذ موقفًا حقيقياً من وجوده، ويتحرر من التشتت والانشغال اليومي، ولا تُفهم هذه اللحظة كحدث خارجي أو كنقطة زمنية ضمن سلسلة من اللحظات، بل كتجربة داخلية يواجه فيها الإنسان ذاته والعالم بطريقة مختلفة، تتحدد فيها الأشياء وفق موقفه: إما كأدوات يستخدمها Ready–to–hand أو كأشياء يلاحظها من بعيد Present–at–hand. بهذا المعنى، لا يكون إدراك اللحظة إدراكًا زمنيًا تقليديًا، بل إدراكًا وجوديًا يعكس اتصالًا عميقًا بالتجربة الحية والحضور الحقيقي في الوجود، وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذا الفهم لفكرة اللحظة يبتعد عن المعنى البصري المألوف المرتبط بـ لحظة النظر، بل تشير إلى معنى عميق، وهو المعنى نفسه الذي يشير إليه "كيرني".

<<CP: Heidegger, Martin. *Being and time*.Trans.by: John Macquarrie & Edward Robinson, Basil Blackwell,1985,P:388.

صفاء عبد السلام جعفر: الوجود الحقيقي عند مارتن هايدجر،منشأة المعارف،الإسكندرية،٢٠٠٠، ص ٤٠٦،٤٠٧>>

(2)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p:25

(3)Kim, Sang H. "Sight and Insight." *One Mind One Breath*, 3 Sept. 2013, onemindonebreath.com/2013/09/03/sight-and-insight/. Accessed 20 July 2025.

(***) يستشهد كيرني بعدد من الشخصيات الأسطورية والدينية ليبيّن كيف أن فقدان البصر ارتبط تاريخيًا ببصيرة روحية أعمق، على سبيل المثال يذكر شخصية "أوديب" في مسرحية "كولونوس" يفقد بصره الجسدي لكنه يحقق فهمًا وجوديًا لحقيقته وقدره، بينما يُجسّد "تيريسياس" شخصية العراف الأعمى في طيبة، الذي اشتهر بأنه يمتلك قدرة استثنائية على التنبؤ بالمستقبل وفهم ما لا يستطيع الآخرون رؤيته، في دلالة على أن الحكمة نابعة من البصيرة لا من الرؤية الحسية، و في النصوص المسيحية فإن بولس يفقد بصره على طريق دمشق، في

يتبين لنا إذن أن "كيرني" يكشف لنا عن مستويات لحاسة البصر حين يقترن بها الحس اللمسي، ليصل بنا إلى ما يسميه " الرؤية اللبقة tactful vision" باعتبارها القدرة **على رؤية غير المألوف في المألوف ذاته**، أي **إدراك الجمال والعمق في التفاصيل اليومية العابرة**—كما لو أن العالم يُرى في لحظة خلقه الأولى. (١)

- **حاسة السمع:** يرى "كيرني" أن اللمس والصوت يرتبطان ارتباطاً وثيقاً منذ بداية تكوين الإنسان جنيناً في الرحم ، فالسمع واللمس هما أساسان وجوديان لنشأتنا الجسمية، وتكاملُهما يُشكل قاعدة الإحساس والأمان الوجودي الذي يرافقنا طوال الحياة، ولهذا فإن التجربة الحسية المشتركة بين اللمس والسمع أمراً لا يمكن إن نغفله(٢)، إن السمع في تصوّر "كيرني" لا يُعد فعلًا سلبيًا لاستقبال الصوت، بل يراه استجابة وتتناغم مع ما يتردّد صداه في العالم، فالحس اللمسي*tact* في مجال السمع أو ما أسماه "السمع اللبق tactful Hearing" يعني الإصغاء العميق، أي أن يسمع المرء "الصوت داخل الصوت"(*)، أي تلك النبرة الخفية المشبعة بالقصد والخيال والمعنى، فمن يمتلك "أذنًا جيدة" ليس هو من يرصد النغمات فحسب، بل من يُصغي بكيانه كله، بجسده ومشاعره، وهنا يتحول السمع نفسه إلى شكل من أشكال اللمس الداخلي، ويصبح ذلك الحس اللمسي هو ما يحوّل الصوت من ضجيج إلى معنى، ومن اهتزاز إلى حوار حيّ مع الواقع(٣).

ولا يتوقف أمر السمع اللبق على سماع الأصوات البشرية ، بل يحاول "كيرني" أن يلفت الانتباه إلى ضرورة الإنصات الحساس للكائنات غير البشرية، تلك التي لا تزال تحتفظ بحساسية سمعية فائقة تجاه ترددات خفية فقدها الإنسان أو تجاهلها، كالحيتان والدلافين والخيول والكلاب(**)، التي تتجاوب مع ترددات طبيعية

تجربة تمهد لتحوله الروحي العميق إلى رسول للمسيحية .تتكرر هذه الفكرة في الطقوس الإليوسينية اليونانية، حيث كان يُطلب من المشاركين ارتداء عُصابات (تغطي أعينهم = mysterion) لإدراك الأسرار، وتشجيعهم على "رؤية" الحقائق الروحية بطريقة حدسية غير معتمدة على النظر، وضح كيرني أن غياب البصر في هذه الأمثلة لا يعني العجز، بل يُمثّل الانتقال إلى نمط أعمق من الفهم عبر اللمس والحدس.

(1)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p:24-26

(2)Ibid,P:28

(*)"To listen to the voice within the sound"

(3 Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense,P:27

(**) يشير "كيرني "إلى أن بعض الكائنات غير البشرية — كالحيتان والدلافين والخيول — تمتلك قدرات حسية فائقة تُمكّنها من التفاعل مع ترددات خفية لم يعد الإنسان قادرًا على إدراكها. فالحيتان والدلافين، على سبيل المثال، تستخدم موجات تحت صوتية وفوق صوتية تتيح لها التواصل عبر المحيطات لمئات الكيلومترات، كما تعتمد على السونار الحيوي في تمييز محيطها بدقة مذهلة. أما الخيول، فتتميّز بحساسية جسمية وانفعالية عالية، تجعلها قادرة على قراءة الإشارات الدقيقة في جسم الإنسان وصوته، بل وحتى حالته النفسية، ويعكس هذا المستوى الحسي الراقي نمطًا من الانتباه الجسدي التفاعلي مع العالم، الذي لم يعُد حاضرًا في التجربة البشرية المعاصرة بنفس الدرجة.

<< cp: Kearney, Richard. "Anacarnation: recovering embodied life.Art. in " *Anacarnation and Returning to the Lived Body with Richard Kearney*. Routledge, 2022,P: 245,247 &Tyack, P. L. Functional aspects of cetacean communication. In Cetacean Societies University of Chicago Press. 2000, (pp. 270-307).& Hausberger, Martine, et al. "A review of the human–horse relationship." Applied animal behaviour science 109.1 (2008): 1-24.>>

خفية فقدها الإنسان، فيرى "كيرني" إن هذه الكائنات لا تزال في "تواصل صوتي حيّ" مع الطبيعة، في حين أن الإنسان الحديث فقد هذه العلاقة الحسية الدقيقة بسبب انفصاله الحسي عن العالم الطبيعي، ومن هنا يظهر السمع اللبق كقدرة على الإصغاء الوجودي للعالم الطبيعي بكل تنوعه وإيقاعاته(١).

إذن يمكننا القول أن "كيرني" عندما يجعل "الحس اللمسي tact"، يقترن بحاسة السمع يجعلها تجاوز المستويات الأولية للإدراك؛ إذ لا تقتصر على مجرد استقبال الصوت في مرحلة "الاستماع(*hearing*) "، بل تنقلنا إلى مرحلة "الإصغاء " (*listening*)، ثم إلى مرحلة "الإنصات العميق(*attentive or deep listening*) "، وهو إنصات غير موجه إلى الكائنات الإنسانية فحسب، بل إلى نداء الطبيعة كلها بكل ما تحويه من كائنات وأصوات ومعانٍ(*).

- **حاسة الشم** Smell : في البحث عن العلاقات الفيزيائية بين اللمس والشم، يرى "كيرني" انه بالرغم من قدم هذه العلاقة، إلا أن علم الأعصاب المعاصر يؤكد هذا الارتباط بشكل علمى، ولكن "كيرني" يوجه الأنظار إلى مفهوم الشم اللبق أو العلاقة بين حاسة الشم الفيزيائية وما أسماه الحس اللمسي، هنا تتحول الحاسة البدائية لتُمثّل شكلاً من الذكاء الجسمي الحيّ، أو ما يسميه "كيرني" "الفراسة الشمية *flair*" التي تُمكّن الإنسان من التمييز اللبق بين الروائح، كما في تذوق العطور والنكهات والفروق الدقيقة في التوابل والنبيذ، ويرتبط هذا الذكاء الشمي بتجارب عاطفية حميمية، كالرابطة بين الأم ورضيعها، أو بين العشاق، حيث تترك الروائح أثراً لا يُمحى في الذاكرة، كما يُظهر الحس اللمسي الشمي أيضاً في المجال الطبي، حيث كان الأطباء يعتمدون على حاسة الشم لتشخيص الأمراض من الروائح والتنفس، وهي مهارة فُقدت في ظل سيطرة الأدوات البصرية الحديثة (٢).

لا يقتصر الحس اللمسي لحاسة الشم على الوظيفة الجسمية أو الانفعالية، بل يتجاوزها إلى البعد الثقافي والاجتماعي، حيث تتغير دلالات الروائح بتغير الزمن والسياق، فيوضح "كيرني" كيف تحوّلت رائحة الخنازير في الثقافة الأيرلندية من رمز للكرم إلى علامة على القذارة بفعل الخطاب الأخلاقي(٣).

---

(1)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p:30

(*) في هذا الجزء نرى مدى التشابه والتأثر الكبير بين "كيرني" و"هايدجر" في تناولهما لحاسة السمع حيث نرى "هايدجر يفرق بين السمع الحسي **hearing** باعتباره الإدراك المجرد أو البسيط للأصوات خارجية، وهناك أيضاً مفهوم "الإنصات **listening**"الذي يشير به إلى الانفتاح على المعنى، وفهم الآخر ضمن العلاقة مع العالم والناس. أما الإصغاء الوجودي " **Hearkening**"فهوالأعمق ، حيث يستجيب الإنسان لنداء ضميره**call of conscience** ، ويتحرر من ضوضاء المجتمع غير الأصيلة، **idle talk of the they** ويتجه نحو وجوده الأصيل ، **authenticity** ، فالإصغاء ليس مجرد سماع عادي، بل هو نوع خاص من السمع يفتح إمكانية العودة للذات الحقيقية.

<<CP: Heidegger, Martin. *Being and time*.Trans.by: John Macquarrie & Edward Robinson, Basil Blackwell,1985,P:207,212,343>>

(2)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense,P:21,22

(3)Ibid,P:22

- **حاسة التذوق**Taste : يبدأ "كيرني" حديثه عن حاسة التذوق بهذه العبارة: "**الشخص الذي يمتلك ذوقًا لبقًا هو شخص ذو فطنة**"(*)(١)، ويقصد "كيرني" بذلك أن الشخص الذي يمتلك ذوقًا لبقًا tactful taste هو شخص يتمتع بفطنة حسية عميقة، وذلك نوع من *الفطنة الحسية ذات الطابع العملى* (*savvy*) تنبع من التجربة المعيشة، لا من الفكر العقلى المجرد، فالتذوق على المستوى الحسي يعني التمييز بين الفروق الدقيقة بين الملمس والنكهة، وغياب التذوق يقترن بنقص التمييز _كما في الشراهة، والسكر، والإدمان_ ، **أما التذوق اللبق أو الحكمة فيتمثل في الانتباه، والاهتمام، والاستمتاع الواعى بما تلتقطه مستقبلات الطعم لدينا**(**)(٢) .إن "كيرني" بذلك يكشف لنا عن تلك العلاقة الجوهرية بين فعل التذوق اللبق و*الحكمة الجسمية*، ويؤكد مرة أخرى أن أصل الحكمة ليس في الفكر المجرد، بل في الإحساس الجسمي الحيّ.

يرى "كيرني" أن هذه الفكرة تظهر بوضوح مع أولى لحظات حياة الإنسان، في عملية الرضاعة حيث يختبر الطفل العالم من خلال فمه ولسانه، فالتذوق لا يقتصر على الطعام، بل يشمل أيضًا المشاعر والاتصال الجسمي، ومن هنا، يصبح فعل التذوق الملموس The tactile act of tasting هو القدرة على التعامل بلطف وحساسية مع ما نُقبِل عليه وننفتح عليه من خلال أجسامنا. (٣)

إن "كيرنى" من خلال هذا التحليل يريد التأكيد على تلك الحساسية اللمسية A tactile sensibilityعندما يتغلغل في كل الحواس يُعيد تشكيلها من الداخل؛ فالبصر يصبح بصيرة، والسمع يتحول إلى إصغاء، والشم إلى فراسة، والتذوق إلى فطنة وحكمة حية.

وانطلاقا من هذه الرؤية، وتأكيداً على نظرة "كيرني" الجديدة لمفهوم الحكمة، يمكننا أن ننظر إلى حاسة اللمس باعتبارها تجربة إنسانية شاملة لأبعاد الحكمة الثلاثة: الأنطولوجيا، والأبستمولوجيا والأكسيولوجيا، فاللمس كما يصوّره "كيرني" ليس فعلًا بسيطًا، بل فعلاً وجوديًا ومعرفيًا وأخلاقيًا، يكشف عن الإنسان ككائن جسمي منفتح على العالم والآخر، لا يعيش إلا من خلال علاقاته، وحساسيته، وقدرته على الإصغاء الجسمي للوجود بأسره.

وفيما يلي سنحاول تحليل كيف تتضمن تجربة اللمس هذه الأبعاد الثلاثة.

ب. <u>البعد الأنطولوجي للمس:</u>

"تلك الحساسية اللمسية هي التي تُشكّل إدراكنا لعلاقاتنا بالآخرين قبل أي تفكير مجرد... وبدونها نفقد وجودنا الإنساني ...فنُصبح كالأشباح"(*). (٤)

(*)"A person with tactful taste is a person with savvy"

(1) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p:17

(**)Tactful taste— savvy— is about attention, attending, relishing what our taste buds savor

(2) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p:18

(3)Ibid,P:17,19

(*)"A tactile sensibility that informs our relations with others prior to abstract cognition … and without it we are lost, like a ghost among ghosts."

(4) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense,P:9

يقدّم "كيرني" تصوراً مغايراً للتقاليد الفلسفية الكلاسيكية حول الوجود الإنساني، إذ لم يعد الإنسان في رؤيته كائناً مفكراً في المقام الأول، كما رأيناه في الكوجيتو الديكارتي" *أنا أفكر، إذن أنا موجود*"، ولا حتى مجرد كائن ناطق كما يرى أرسطو(*animal rationale*) ، بل هو كائن ملموس، متجسد، ينفتح على العالم من خلال جسمه لا من خلال وعيه فحسب؛ فالوجود عند "كيرني" لا يبدأ من الفكر، بل من الحسّ، من التلامس، من التفاعل الجسمي الحي مع الآخر والعالم، إنه يرى اللمس العامل الأساسي لوجودنا؛ فنحن نأتي إلى العالم وحاسة اللمس ملازمة لنا أصلاً [١]، فاللمس كما يصفه "كيرني" "**أول موضع نعلن فيه موافقتنا على الوجود، وترحيبنا بالآخر**"(**) [٢] ، و هكذا يصبح اللمس تجربة أنطولوجية بامتياز، تمسّ جوهر وجودنا الإنساني.

ويمكن أن نستكشف ملامح البعد الأنطولوجي للمس من خلال العناصر التالية:

- **<u>اللمس كأسلوب للوجود</u> (Touch as a Mode of Being) :** يرى" كيرني" أن اللمس شرط أولي للوجود الإنساني، وأساس أنطولوجي سابق لكل أفعال الذات، بما فيها فعل الإمكان "أنا أستطيع"، والإرادة "أنا أريد"(***)، في تأكيد على أن الإمكانية والإرادة الإنسانية لا تنبعان من العقل المجرد، بل من الانخراط الجسمي الحي في العالم. [٣]

إن اللمس عند "كيرني" يُشكّل الأصل لكل تحوّل في الشعور بامتلاك الذات"ownness"، أي الإحساس بأن هذا الجسم هو "أنا"، أو هو ما يجعل الإنسان يقول: "أنا من يشعر"، "أنا من يتألم"، "أنا من يلامس"، فالمس هو الحاسة الوحيدة التي تُشعر الإنسان بأنه ليس فقط موجوداً، بل متصلًا ومندمجًا في العالم، فهو لا يلمس شيئًا دون أن يُلمَس في المقابل، وهذا التبادل الفوري والداخلي يُنتج وعيًا حيًّا بالذات، كما أننا أيضاً حين نلمس العالم نختبر أنفسنا أيضًا. فأي تحوّل في علاقتنا بما نلمس يُحدث تحولًا في إحساسنا بذواتنا، مثل شعورنا باللمسة الحانية، أو الصفعة، أو المصافحة، كلها تغير من شعورنا بأنفسنا ومكانتنا، ولعلنا نرى في الأم التي تحتضن طفلها خير مثال: فحين يحتضن طفلٌ أمّه، لا يكتفي بإدراك دفء جسمها، بل يشعر

(1)Kearney, Richard.The Wager of Carnal Hermeneutics, P: 23

(**)"It is the first site of our consent to being and our welcome to others".

(2) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense,P:44

(***) يظهر في هذه الفقرة تأثير "بول ريكور" في "كيرني" حيث يشير إلى أن هذه الفكرة في أساسها قد ناقشها "ريكور" في كتابه " الذات كآخر" *"Oneself as Another"*، ويقصد "ريكور" بها أن الشعور بامتلاك الذات (ownness) ليس مجرد فعل إرادي، بل هو أساس أنطولوجي يسبق كل أفعال الذات، مثل القدرة والإرادة. أما "كيرني" فيستخدمها للدلالة على أن الذات لا تُبنى بمعزل عن الآخر، بل تتشكل من خلال الانفتاح عليه والاستجابة له، مشيراً إلى أن الذات في عملية تفاعل مستمر مع الغير.

<< Cp: Kearney, Richard.The Wager of Carnal Hermeneutics, "notes", P: 327 & Ricoeur, Paul. "Oneself as another, Trans.by: Kathleen Blamey, The University of Chicago Press,1992,P: 324

(3) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense,P:15

معه بالأمان، وبالانتماء، يشعر بأنه كائن محبوب، وهذا التحوّل في الشعور الداخلي ناتج عن اللمس، لا من التفكير أو الكلام. (١)

مثال آخر يتجلى فيه البعد الأنطولوجي للمس هو" تجربة الرقص"، ففي الرقص لا يعبّر الجسم عن الذات فقط، بل يخلق المعنى من خلال حركته ولمسه للعالم أو للآخر، حين يرقص شخص ما، فهو لا يعبّر عن فكرة سابقة في ذهنه، بل يُنتج وجوداً حيًّا، جسمياً، منفتحًا على الفضاء والزمان والآخرين، جسمه يلمس الأرض، والهواء، وربما جسماً آخر، ويتجاوب مع إيقاعٍ ما، ومع كل لمسة، يتغير موضعه في العالم، وتتشكل ذاته من جديد، فاللمس هنا ليس أداةً تعبيرية فقط، بل هو الوسيط الذي يُعيد تشكيل وجوده لحظةً بلحظة(*)

وتبلغ هذه الرؤية ذروتها حين يتأمل كيرني تجربة فقدان اللمس أثناء جائحة كورونا، فيرى أنه في اللحظات التي بات فيها اللمس مستحيلاً، ظهرت قيمته وأهميته لوجودنا، و زادت رغبة المرء فيه، فيقول:" **حين دخلتُ في العزلة خلال الأيام التي أعقبت الإغلاق، بدأت تزورني ذكريات عديدة عن اللمس، أنفاس أمي الساخنة على كتفيّ وأنا في الخامسة من عمري، والتي كانت تشعرني بالدفء بعد السباحة في البحر الأيرلندي، راحة جدتي الباردة على جبيني حين كنت أعاني من الحمى، قبلة صديقتي الأولى ونحن نرقص رقصة هادئة، نعومة بشرة طفلي الوليد.كانت هذه الأحاسيس تتدفق من ذاكرة لا إرادية — تُبقيني على تواصل مع نفسي ومع عالمي**". (٢)

---

(1)Kearney, Richard.The Wager of Carnal Hermeneutics, P: 51,52.

(*) يمكن القول بأن استخدام" كيرني" لمثال الرقص كتعبير عن البعد الأنطولوجي للمس، حيث لا يكون الرقص مجرد حركة أو فن، بل وسيلة عميقة للتعبير عن الحياة والحرية، يظهر فيه التأثر بفكر الفيلسوف الألماني " نيتشه" (١٨٤٤-١٩٠٠) الذي رأى في الرقص منهجاً لتحرير الجسد والعقل A method of liberating both mind and body، واعتبره علامة على الإرادة القوية والاحتفال بالحياة. فبالنسبة لنيتشه، الرقص ليس مجرد حركات إيقاعية تؤديها ، بل هو طريقة نعيش بها وجودنا بكل طاقتنا. فيقول: " وأنا أيضًا تعلمت الانتظار زمنًا طويلًا، ولكن ما انتظرته إنما هو أنا، وقد تمرنت على أن أقف وأمشي وأركض، وأقفز وأتسلق، وأرقص... فمن يريد أن يتعلم الطيران يومًا عليه أن يتدرب أولًا على الوقوف، فالركض، فالقفز، فالتسلق، فالرقص، وليس لأحد أن يسرع إلى الطيران رأسًا" .

كما يستعين "كيرني" أيضًا بصورة شعرية من الشاعر الأيرلندي ويليام بتلر ييتس (William Butler Yeats) (١٨٦٥-١٩٣٩) في قصيدته " بين أطفال المدرسة "Among School Children"، حيث يقول ":أيا جسمًا يتمايل مع الموسيقى، كيف يمكننا أن نميّز الراقص عن الرقص؟" هذه العبارة، كما أشار "كيرني"، تعكس فكرًا وجوديًا عميقًا، حيث يذوب الجسم في الفعل، فلا يُعرف الراقص من الرقصة، أي لا يوجد فصل بين الذات وتجربتها الجسمية، فيصبح الجسم في حالة انسجام تام مع ما يفعله، وكأن الحركة أصبحت تعبيرًا صادقًا عن الذات. ومن خلال الجمع بين المعنى الرمزي للرقص عند نيتشه، والصورة الشعرية الحسية عند "ييتس"، يوضح "كيرني" كيف يمكن للإنسان أن يعيش وجوده من خلال جسمه. فـ"اللمس" عنده ليس مجرد شعور، بل طريقة نعيش بها ونعبر عن أنفسنا.

<<Cp: Diethe, Carol. *Historical dictionary of Nietzscheanism*. Art. "Dance", The Scarecrow Press, Third Edition, U.S.A, 2014,P:110 .

فريدريش نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، الروح الثقيل"، ترجمة: فيليكس فارس، مطبعة جريدة المصير، الإسكندرية، ١٩٣٨، ص١٣٥.

Yeats, William Butler, and Donald Revell. "Among School Children | the Poetry Foundation." *Poetry Foundation*, https://www.poetryfoundation.org/poems/43293/among-school-children. Accessed 5 May 2025.>>

(2) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense,P:11,134

إن "كيرني" لا يعرض مجرد ذكريات عابرة، بل يكشف عن الطريقة التي يختزن بها الجسم تجاربه اللمسية، فكل لمسة مذكورة — من دفء أنفاس الأم، إلى برودة يد الجدة، إلى أول قبلة، وحتى ملمس الطفل الوليد — ليست فقط تجربة ماضية، بل دليلاً حيّ على أن الإنسان يعيش في العالم من خلال اللمس، وتبقى أثاره في أجسامنا كأثر لا يُنسى، فكأننا بأناملنا ننقش ونشكل ملامح وجودنا.

- **<u>اللمس والانفتاح الجسمي كأساس للوجود</u>:** يصف "كيرني" اللمس باعتباره بوابة، فيقول: "**اللمس هو بوابة تنفتح على عالم لا يمكن إغلاقه أبداً**"(*)(١) ، وهو بذلك يشير إلى أن اللمس ليس فعلًا مغلقًا أو محدوداً في الزمان والمكان، بل هو مدخل دائم إلى علاقة حيّة مع العالم والآخرين، فاللمس لا يقتصر على التفاعل السطحي مع الأشياء، بل يُحدث انكشافاً للذات، ويضعها في حالة استقبال وتفاعل مع ما هو خارجها، كما إن وصفه للّمس كـ"بوابة لا يمكن إغلاقها" يدل على أن هذه العلاقة لا تُختزل في لحظة أو موقف عابر، بل تُحدِث أثراً مستمراً في الذات، وتبقيها منفتحة على الآخر.

ويوضح "كيرني" ماهية هذا الانفتاح اللمسي حيث يُشير إلى أن اللمس يتطلب "**انفتاحًا على إمكانية أن نُلمسّ كما نَلمس we are always touching and being touched**"(٢)، فاللمس ليس مجرد حاسة فردية، بل هو تجربة تعاطفية وجماعية تتجاوز النظرة الذاتية المغلقة التي تعتبر أن اللمس يخص الفرد وحده، فاللمس يشكل نسيجًا حيوياً يربطنا بالآخرين، ليس على المستوى الجسمي فحسب، بل أيضًا على الصعيدين العاطفي والإنساني. إنه حائل رقيق حساس لما هو ليس بذاته 'membrane' sensitive to what is not itself,، عنصر بيني يعيش بين الأجسام ولا يخص أي شخص بعينه، بل يدخل في علاقات التبادل الحسي والوجداني، وبهذا المعنى تصبح الحياة عند" كيرني" "متجسدة بشكل تفاعلي intercarnate"، حيث لا نعيش في أجسامنا فقط، بل من خلال الآخرين ومعهم في تجربة حسية أو لمسية.(٣)

إن تلك التجربة التبادلية تجعل اللمس يتجاوز فكرة التملك أو الهيمنة، ليُصبح إمكانية للتفاعل والاستجابة، إنه علاقة حوارية تُبنى على القرب لا على السيطرة، وهو ما يتجلى مثلاً في لحظة الإمساك بيد الآخر في موقف ألم أو حزن، حيث لا يكون اللمس تملّكًا، بل تواصلاً واستجابة لحضور الآخر وضعفه. هذا الانفتاح لا يتم

(*)" Touch is a portal opening onto a world that can never be shut" .

(1) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense,P:44

(2)Kearney, Richard.The Wager of Carnal Hermeneutics, P: 24

(3)Casey, Edward S. "Bringing Tactility Back: *Review Essay* to Richard Kearney on Touch, " Journal for Continental Philosophy of Religion 5.2 (2023): 209-216,p: 211.

من خلال المسافة، كما هو الحال في الرؤية، بل من خلال القرب الحميم الذي يسمح بظهور الآخر في هشاشته وإنسانيته. (*)

- **<u>اللمس بوصفه مخاطرة وجودية:</u>** ولما كان اللمس انفتاحاً، فالمخاطرة تمثل جانباً جوهرياً من هذا الانفتاح، وهذا ما عبر عنه كيرني بقوله:" **أن تتوفر لديك حاسة اللمس ،فهذا يعني أن تحيا في خطر – بين الألم والفرح. ودون مخاطرة، لن تكون هناك حياة تستحق أن تُعاش**"(**)(١)(***) ، إن الجسد العاري والملموس هو ما يجعل الإنسان معرض للمس باستمرار، مكشوفاً دوماً أمام الآخر، أمام العالم، أمام المجهول، وبالتالي نصبح عرضة للمخاطرة والمغامرة من كل جانب، وهذا ما يعني أن الحياة الجسدية هي دائماً في حالة خطر.(٢)

إن "كيرني" يقصد بذلك إننا عندما نتلامس لا يمكن أن نتوقع استجابة الآخر، فنتعرّض لاحتمالات متعددة؛ كاستجابة لتلك اللمسة، تتراوح بين الألم والفرح، والقبول أو الرفض، وهذا يعني أن اللمس يُدخلنا في علاقة غير مضمونة مع العالم، فنصبح معرضين للأذى بقدر ما نكون منفتحين على اللذة، وهذا ما يجعل اللمس تجربة انكشاف متبادلة، يتخللها دائماً حالة من عدم اليقين.

ويصف" كيرني" تلك المخاطرة بأنها "رهان الجسم wagering of flesh" ، فهذا الانعكاس الممتع بين طرفي اللمس يعني أنني أستطيع المخاطرة بالشعور بالآخر: نتلقى اللمسة، نستجيب، ونشعر، ونتأثر، هذه المغامرة والمخاطرة اليومية التي نخوضها من خلال أجسامنا، هي ما يشكل وجودنا، إنها مغامرة من أجل حضورى الجسمي embodied presence: أي أن أكون موجوداً في هذا العالم من

(*) يعتبر مصطلح "الانفتاح" من المصطلحات الأساسية في فلسفة هايدجر، إذ يرى "الانفتاح" بوصفه الفضاء الذي تُكشف فيه الحقيقة، أي الكينونة بوصفها لا-احتجابًا، هذا "الانفتاح" ليس شيئًا نملكه أو نخلقه، بل هو المجال الذي يُظهر فيه الموجود نفسه، ويظل مع ذلك مهددًا بالتخفي والانسحاب، ويرى "هايدجر" أن العمل الفني مجال للانفتاح ، فحين نُصغي إلى قطعة موسيقية أو نتأمل عملًا فنيًا بعمق، لا نُدرك فقط صوتًا أو لونًا، بل ننفُتح على أفق من المعنى لم يكن ظاهرًا لنا من قبل ، فالفن عند "هايدغر" يُضيء الانفتاح نفسه، لأنه لا يُقدّم معلومة بل يفتح عالمًا نكتشف من خلاله الحقيقة بشكل حيّ.، فالانفتاح إذًا ليس حالة سكون، بل مجال ديناميكي تُخاض فيه معركة الحقيقة. في الحياة اليومية، يتجلّى الانفتاح حين نكون في وضع يسمح للموجودات بأن تُفصح عن ذاتها، لا حين نُخضعها بالكامل للإرادة أو التصور.

<<cp: Ewegen, S. Montgomery. "The Cambridge Heidegger Lexicon,Art.: "Open –Offene", Ed. by Mark A. Wrathall, Cambridge University Press , First published 2021,P:560.

صفاء عبد السلام جعفر: الوجود الحقيقي عند مارتن هايدجر، منشأة المعارف، الإسكندرية،٢٠٠٠، ص ٣٧١-٣٧٣

(**) Being in touch means being at risk— between suffering and joy. And without risk no life is worth living.

(1) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense,P:44

(***) تُذكّرنا عبارة "كيرني" "دون مخاطرة، لا تكون هناك حياة تستحق أن تُعاش" بعبارة " نيتشه" الشهيرة: " إن السر في جني أعظم ثمار الوجود وأقصى درجات المتعة هو أن تعيشوا في خطر!"، ومع أن كلاً من "نيتشه" و" كيرني" يشتركان في تمجيد المخاطرة كشرط للوجود، إلا أن طبيعة هذه المخاطرة تختلف بينهما، فبالنسبة لنيتشه يتمثل الخطر الحقيقي في الخضوع للعادات والتقاليد البالية، إذ يرى أن القدرة على تجاوز المألوف والموروث هي السبيل إلى الإبداع والتفرّد، ولكن المخاطرة عند "كيرني " تنبع من الاستجابة لتجربة اللمس نفسها، فهى تنتج استجابات لا يمكن التنبؤ بها، قد تكون حميمية، أو مؤلمة، أو محبطة، بحسب السياق والعلاقة.

<<cp: Nietzsche, Friedrich. The Gay Science, Trans. by: Josephine Knockoff, Cambridge University Press, 2001, Pass.283,P:161>>.

(2) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense,P:41

خلال جسمي، باعتباره الوسيلة التي ألتقي بها بالآخرين، وفي هذه الحالة يصبح اللمس الأداة التي لا يمكن الاستغناء عنها للتواصل الجسمي. (١)(*)

إن تلك السمات تكشف لنا كيف يؤكد "كيرني" على اللمس لا بوصفه تجربة جسمية فحسب، بل بوصفه تجربة أنطولوجية، وإحساساً بالانتماء إلى هذا الوجود، كما انه ليس انتماء سلبيًا وساكنًا، بل انتماء يتصف بالديناميكية والحيوية، فمع كل لمسه تتشكل وتتحدد ملامح هذا الوجود.

ج. **<u>البعد الإبستمولوجي للمس:</u>**

بعدما أوضح "كيرني" كيف أن اللمس يمثل تجربة أنطولوجية، يحاول التأكيد على البعد الإبستمولوجي للمس، إذ يرى انه وسيلة المعرفة الأولى، فإذا أردنا أن نتعرف على ماهية أي شيء، فإن أول ما يخطر على أذهاننا هو أن نقوم بلمسه(٢)، ولكنه يتجاوز التصور التقليدي للبعد الإبستمولوجي من حيث كونه يبحث عن طبيعة المعرفة ومصادرها ومدى يقينها، ولكنه يربط بين البعدين الأنطولوجي والأبستمولوجي، حيث يحاول التعبير عن اللمس باعتباره تجربة تتيح للذات أن تُفسّر وتتفاعل وتفهم، بدءاً من أبسط التجارب الجسمية إلى أعمق أشكال الإدراك، انه يحاول الإجابة عن سؤال رئيس: كيف نفسر العالم بحواسنا الجسدية خاصة _اللمس والتذوق؟ (٣)

من خلال رؤية "كيرني" للمس يمكن لنا أن نستنتج أهم ملامح البعد الأبستمولوجي للمس فيما يلي:

- **<u>المخاطرة كأساس للمعرفة الحسية:</u>** يبدأ البعد الأبستمولوجي للمس عند "كيرني" من حيث ينتهي البعد الأنطولوجي، أي من فكرة المخاطرة، فكما كانت المخاطرة أساسًا لفكرة الانفتاح، فهو أيضاً يجعلها أساسًا للمعرفة نفسها، إذ يرى أنه لا إدراك من دون حس، ولا حس من دون لمس، ولا لمس دون تعرض للمخاطرة؛ فإذا كانت لمستي للآخر تعد مخاطرة لأنني لا يمكننى توقع استجابة الآخر، فلمستي للأشياء بغرض المعرفة تعد مخاطرة أيضاً، لأنني من خلالها أستكشف طبيعة هذا الشيء الذي ربما يكون بارداً، وربما يكون ساخنًا، ربما يكون حاداً، حارقًا، وربما يكون قاتل!، وهذا

(1) Ibid,P:41,42,47.

(*) تجدر الإشارة هنا إلى أن "كيرني" في هذا الجزء يتبني فكر"هوسرل" عن اللمس باعتباره أعمق طريقة نختبر بها الآخر، وذلك نظراً لطبيعته المزدوجة التي نتبادل الأدوار بين طرفي اللمس في علاقة حسية متقابلة. بخلاف البصر الذي يضع العالم تحت سيطرتي من مسافة، اللمس يضعني وجهًا لوجه مع ما ليس أنا، في صلة مباشرة تربط بين البعيد والقريب، وتجمع بين حضوري الجسدي والآخر في زمان ومكان محددين. هذه التجربة هي أساس التجسد المشترك (intercorporality)، وهذا المعنى نفسه الذي يتبناه "كيرني"، الذي يرى أن اللمس ليس مجرد إحساس جسمي، بل هو علاقة متبادلة تحمل مخاطرة وانفتاحًا على الآخر، حيث يتشكل الحضور المشترك من خلال التفاعل الحسي لا من خلال السيطرة أو المراقبة عن بُعد.

<<cp: Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense,P:47>>

(2) Ibid,P:40.

(3)Kearney, Richard.The Wager of Carnal Hermeneutics, P: 15

ما يعبر عنه "كيرني" قائلاً : " **إننا نستشعر العالم من خلال أطراف ألسنتنا، فنميز بين الساخن والبارد ، الحلو والمر،..** (١)

يشير "كيرني" أن أولى لحظات الوعي الإنساني كانت خير مثال على أن اللمس هو أصل المعرفة، ويوضح أيضاً فكرة المخاطرة ونتائجها، فحين مد "آدم" يده نحو ثمار شجرة معرفة الخير والشر ليأكل منها(٢)(*)، لم يكن هذا الفعل مجرد عصيان لأمر إلهي، بل يمكن النظر إليه بوصفه اللحظة التي تبدأ فيها الذات في اختبار المعرفة من خلال الجسد والحواس، ودفعته للدخول في تجربة معرفية جديدة لم تكن ممكنة في حالة البراءة.(**)

إن "أدم" لم "يعرف" الخير والشر بعقله فقط، بل عبر جسمه، وعبر المخاطرة بالحس والتجربة، لقد لمس، وتذوّق، وتأثّر، فكان بذلك أول من خاض مغامرة المعرفة، بما فيها من لذة وخطر، من كشف وألم.

- **<u>اللمس كتجربة تأويل جسدية Carnal Hermeneutics</u>:** أن اللمس حين يجعلنا نخوض تلك المغامرة المعرفية، يجعلنا أيضاً نقوم بفعل آخر من أفعال المعرفة، آلا وهو فعل التفسير والتأويل، إذ يري "كيرني" أن هناك علاقة عميقة لا يمكن أن تنفصل بين الإحساس والتفسير"(٣)، "**فإحساساتنا هي في حد ذاتها قراءة للعالم، وتفسير للأشياء بصفها هذا أو ذاك، تسجيل مستمر للفروق والاختلافات، أن ذلك الإحساس اللبقTactful sensation هو ما يصنع إنسانيتنا من خلال استجابتنا لكل ما هو فريد هنا والآن**"(***) (٤)

---

(1) Ibid,P:16.

(2) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense,P:19

(*) قصة السقوط كما وردت في سفر التكوين توضّح أن النتيجة الأولى لفعل اللمس والتذوق هي المعرفة، إذ تقول الآية" فرأتِ المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر. فأخذتْ من ثمرها وأكلت، وأعطتْ رجلها أيضًا معها فأكل. <u>فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان</u>، فخاطا أوراق تينٍ وصنعا لأنفسهما مآزر " (تكوين ٣:٧).

(**) هذه الفكرة نفسها قد ناقشها الفيلسوف الدنماركي "سورين كيركجور" في كتابه The Concept of Anxiety، ولكن من منظور مختلف، إذ رأى أن اللحظة التي أكل فيها آدم من الثمرة كانت لحظة تحوّل من حالة تُسمى "البراءة" أو "الجهل (Innocence and Ignorance) "إلى حالة كونه ذاتًا واعية تمتلك الحرية والقدرة على الاختيار. إن حالة البراءة لم تكن تعني مجرد غياب للمعرفة بين الخير والشر، بل كانت غيابًا للوعي بالحرية .كما أن هذه الحالة لم تكن سكونًا أو هدوءًا مطلقًا، بل كانت تخفي في داخلها توترًا وجوديًا .هذا التوتر لا ينتج عن خطر خارجي، بل عن إمكانية الحرية ذاتها .فالقلق لا يأتي من "شيء"، بل من "لا شيء"؛ من الإحساس بأنني أستطيع أن أفعل، أن أختار، دون سبب خارجي يدفعني لذلك. إن القلق الذي شعر به آدم أمام هذه الإمكانية هو ما مهّد لظهور المعرفة، وكانت الخطيئة فعلاً حراً ناتجاً عن المواجهة مع الحرية والاختيار، لا عن جهل أو ضعف عارض، وبذلك نجد تشابهًا بين "كيركجور" و"كيرني" في اعتبار لحظة تناول الثمرة وأكلها بداية للوعي والمعرفة؛ غير أن "كيركجور" ينظر إليها من زاوية القلق الوجودي والحرية، بينما يركّز "كيرني" على الحسّ الجسمي والمخاطرة الحسية.

<<Cp: Kierkegaard, Søren. The concept of dread.Trans.by: Walter Lowrie, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1957.P:35-38.

(3) Kearney, Richard.The Wager of Carnal Hermeneutics,P:17.

(***) "our sensing is already a reading of the world, interpreting things as this or that, constantly registering differences and distinctions. Tactful sensation makes us human by responding to singularities here and now."

(4) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense,P:35

إن "كيرني" يؤكد على أن اللمس ليس أمـراً بسـيطًا أو مباشـراً، بـل هـو عمليـة معقدة تتضمن قدراً من الفهـم والتأويـل، إن اللمسـة عنـد "كيرنـي" " قـراءة لمـا بـين السطور" إنها حساسية جسمية تؤسس وتفسـر مواقـف حياتنـا[1] ، فعلـى سـبيل المثـال: عندما نلمس شيئًا أو نسـمع صـوتًا، لا يقتصـر الأمـر علـى إدراك الصـوت أو طبيعـة الجسم الملموس، بل يقترن بفعل اللمس فعل التفسير، فنبـدأ مباشـرةً بتفسـير هـذا الشـيء: هل هو مريح؟ أم مؤلم؟ جميـل؟ أم مـزعج؟ وبالتـالي فـنحن نميّـز، ونُصـنّف ونُعطـي معنًى لما نشعر به.

إن إحساساتنا هي الخطوة الأولى لمعرفة العالم، فـنحن لا نعـرف العـالم أولاً ثـم يأتي إحساسنا به، بل من خلال إحساسنا تبـدأ البـوادر الأولـى للفهـم والمعرفـة، ولـذلك يري "كيرني" **أن** هذا النوع من الإحساس، الذي يستطيع أن يسـتجيب بدقـة لمـا هـو فريـد ومميز في كل لحظة، هو ما يجعلنا بشراً، أي أن إنسانيتنا لا تكمـن فقـط فـي إننـا نملـك حواسًّا، بل في أننا نسـتخدمها بطريقـة مرهفـة، وفطِنـة، ومتفاعلـة مـع الواقـع بشـكل مستمر.

إن اللمس متضمن فـي كـل إحسـاس بشـري، وحضـوره الـدائم فـي تجربتنـا الجسمية هو ما يُبقي أبواب الإدراك مفتوحـة لـدينا، يمنعنـا مـن الانسـحاب إلـى داخـل أنفسنا، اللمس يُبقينا في حالة تَـأثُّر بالعـالم، لأنـه يتحـرك — مثـل هيـرمس(*) — بـين الداخل والخارج، بين الذات والآخـر، بـين الإنسـاني وغيـر الإنسـاني، فتصـبح لمسـتنا أرقى وسائلنا للانتقال والترجمة، إنها حجر الأساس في التأويل الجسمي(**)". (٢)

د. <u>البعد الأكسيولوجي للمس:</u>

إذا كـان "كيرنـي" قـد جعـل اللمـس يحمـل طـابع التمييـز والتفسـير علـى الصـعيد الإبستمولوجي، فان ذلك التمييز هو مـا يكسـب اللمـس بعـداً أكسـيولوجيًا أيضـاً، وتحـت تـأثير الرؤية الأرسطية للمس يرى "كيرني" أن هنـاك بالفعـل مـا يسـمى _كمـا رأى أرسـطو_ لمسـة طيبة ولمسة شريرة، وهو بـذلك يُعيـد تعريـف اللمـس باعتبـاره أداة للتمييـز تستشـعر الفـروق

---

(1) Ibid,P:40.

(*) الإله "هرمس Hermes " إله يجمع بين الأصل المصري القديم في شخصية الإله "تحوت" إله القمر والحكمة والكتابة وبين الأسطورة اليونانية كابن "زيوس" و"مايا" ورسول الآلهة، الذكي والماكر، ومخترع الأعداد واللغة .وأيضاً ظهرت صورته لاحقًا في التقليد الديني والفلسفي ليصبح رمزًا للتأويل والمعرفة الخفية، وتظهر أهمية "هرمس "في كونه أصبح رمزًا لفكرة التأويل، ومن اسمه جاء اشتقاق علم التأويل أو "الهيرمينوطيقا"، كما أنه كان يقوم بدور الوسيط بين العالمين: الظاهر والباطن، الإلهي والبشري، ".

<< تيموثي فريك :متون هرمس حكمة الفراعنة المفقودة، ترجمة: عمر الفاروق عمر، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى،القاهرة،٢٠٠٢،ص١٨،١٧>>

(**)Touch informs every human sensation, and its omnipresence throughout our corporeal experience is what keeps open our doors of perception, refusing to allow us to withdraw into ourselves. Closure is against nature. Touch keeps us susceptible to the world as it commutes, like Hermes, between inside and outside, self and other, human and nonhuman. Tactility is our most refined means of transition and translation. The touchstone of carnal hermeneutics.

(2)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense,p:38.

الدقيقة بين أشكال اللمس المختلفة: اللطيف أو الحازم، اللمسة الباردة أو المفعمة بالمشاعر، اللمسة الشافية أو الجارحة.

إن فكرة التأويل الجسمي التي طرحها "كيرني" في البعد الأبستمولوجي تَظهر بوضوح أيضاً في البعد الأكسيولوجي للمس، حيث تتجاوز اللمسة بعدها البيولوجي لتتحوّل إلى فعل يتضمن معاني قيم متعددة، تتشكّل وفق الزمان والمكان والموقف والسياق الثقافي، على سبيل المثال: المصافحة أو العناق أو حتى أبسط أشكال التلامس الجسمي لا تحمل معنى واحداً ثابتًا، بل تختلف دلالتها باختلاف الظروف؛ فقد يكون العناق تعبيراً عن الحميمية أو مجرّد إجراء شكلي، كما قد يكون مقبولاً أو مرفوضاً، وأيضًا الربت على الكتف قد تُقرأ كإشارة للودّ والمحبة، أو قد تُفسّر كنوع من التهديد، بحسب التعبير المصاحب لها أو طبيعة العلاقة. (١)

إن كل لمسة عند "كيرني" تحمل في داخلها بُعداً قيماً يتطلب حساسية تأويلية دقيقة لفهم دلالتها في سياقها الخاص، على سبيل المثال: يولى "كيرني" اهتماماً بفعل المصافحة كأبسط أشكال اللمس، إذ يرى إنها ليست مجرد إيماءة شكلية، بل فعل **يؤسس للثقة، والاعتراف، والانتماء المشترك ، إنها تمثل** أصل المجتمع البشري(*)، بل أصل الحضارة ذاتها فيقول: " **إن الفعل الأول في مسار الحضارة كان اللمس: المصافحة بين شخصين وضعا أسلحتهما جانبًا ليلامس كفّ أحدهما كفّ الآخر(٢)، الفعل الأول للحضارة هو الرهان على ما إذا كان ينبغي لنا أن نمد يدنا بالمصافحة أو نمدها تهديداً بالسلاح(٣).(**)**

(1) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p: 10.

(*)touching finds its social beginnings in the handshake: open hand to open hand—the origin of human community

(2) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p: 15.

(3) Kearney, Richard.The Wager of Carnal Hermeneutics, P: 17.

(**) يذكر "كيرني" أمثلة متعددة من التاريخ توضح كيف كان دور المصافحة في التحول السياسي والأخلاقي منها:

١. في ملحمة الإلياذة يستشهد بمشهد المصافحة بين المحاربين "غلوكوس" (Glaucus) و"ديوميد" (Diomedes) ، فبينما هما في ميدان المعركة ويستعدان للقتال ، يكتشافان صلة القرابة بين عائلتيهما، فينزعان سلاحهما ويتصافحان ويتعانقان بدلًا من القتال.

٢. في عام ١٩٧٨ التقى الرئيس المصري "محمد أنور السادات" و"رئيس الوزراء الإسرائيلي "مناحيم بيغن"، بعد حروب دامية بين البلدين، وتمت المصافحة بينهم برعاية الرئيس الأميركي "جيمي كارتر"، كبداية لاتفاق سلام تاريخي البلدين.

٣. في مطلع التسعينيات، وبعد عقود من نظام الفصل العنصري، صافح "نيلسون مانديلا" (رمز المقاومة السوداء)(٢٠١٣-١٩١٨)، "فريدريك دي كليرك" (٢٠٢١-١٩٣٦)(آخر رئيس أبيض لنظام الأبارتهايد)، وقد جاءت هذه المصافحة تتويجًا لتنهي أنهت طويلة من القمع والتمييز.

٤. ومن التاريخ الإيرلندي نفسه يستشهد "كيرني" بالمصافحة التي تمت بين السياسيان الأيرلنديان "جون هيوم" (١٩٣٧_٢٠٢٠) (القومي الكاثوليكي)، و"ديفيد تريمبل" (١٩٤٤-٢٠٢٢) (الاتحادي البروتستانتي) اللذين تصافحا خلال مفاوضات اتفاق "الجمعة العظيمة" ١٩٩٨، وقد كانت المصافحة رمزاً لكسر جدار الانقسام الطائفي والسياسي.

إن كل هذه الأمثلة ليوضح "كيرني" إن المصافحة ليست مجرد حركة تلامس بالأيدي، بل تمثل لحظة فارقة يتم فيها التحول من حال إلى أخرى.

<< Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p: 15.

هوميروس: الإلياذة، النشيد السادس، ترجمة: سليمان البستانى، مؤسسة هنداوي، القاهرة،٢٠١٢، ص ٣٤٨.

إن "كيرني" يرى أنه بين قيام الحضارة وانهيارها لمسة تحمل معنى المحبة والترحاب أو العداء، وكأنه مرة أخرى يريد أن يعارض المعتقدات السابقة التي تري أن الحضارة تبدأ بالفكر أو اللغة أو القانون، ليعلن أن الحضارة تبدأ من الجسم، من اللمسة الأولى التي تُعلن انتهاء الخوف وبدء الثقة.

ووفقاً لهذه الرؤية يتحول اللمس عند "كيرني" إلى وسيط ذي قيم متعددة تنبع من الموقف، والعلاقة، والسياق الاجتماعي، ومن أبرزها:

- **<u>الشفاء Healing</u>:** يرى "كيرني" أن اللمس يرتبط ارتباطاً وثيقاً بقيمة الشفاء، خاصة في لحظات الألم أو الصدمة، فتتحول اللمسة إلى جسر يمثل بداية الشفاء، ويؤكد "كيرني" أن هذه الفكرة ضاربة في جذور الفكر الإنساني، فمنذ أقدم الأساطير لدينا مشاهد الجرح والشفاء عبر اللمس، من "أوديسيوس" إلى "أوديب"، و"تشيرون" الذي قام بتعليم تلميذه "أسكليبيوس" فن الشفاء من خلال اللمس(*)، حتي أن الأدب الكتابي أيضاً يؤكد على هذه الفكرة، حيث تُصوِّر المسيحية المسيح بوصفه **الشافِي الجريح**(*Wounded Healer*) الذي يلمس المرضى والمكسورين لا ليُخضعهم، بل ليشاركهم ألمهم ويمنحهم الشفاء. (١)

أن "كيرني" أيضاً في مناقشته لفكرة الشفاء لا يتوجه ناحية الشفاء الطبي والتقنى الذي يسميه العلاج الأحادى الاتجاه، العلاج الذي يتعلق بالعقول أكثر منه بالأجسام(**)(٢)، ولكنه يبحث عن حالة تواصل حسيّ وإنساني بين المعالج و المريض، من خلال بقائه _أى المعالج _ حاضراً بجسده ومشاعره مع جراح الآخر، وهذا التواجد المشترك مع الألم يتحول إلى نوع من الشهادة المتبادلة، شفاء ثنائي

(*) أوديسيوس (Odysseus) :بطل ملحمة الأوديسة لهوميروس.، وكان قد مرّ عبر رحلته بالعديد من الجراح الجسدية والنفسية، إلا أنه في نهاية الرحلة، عندما يعود إلى موطنه، ينال الشفاء عبر اعتراف زوجته به، ولمستها له.

– أوديب:(Oedipus) الذي بعد أن يكتشف أنه قتل والده وتزوج أمه، يُعاقب نفسه بالعمى..وفي نهاية حياته، يصبح شخصًا يحمل الجراح ويعيشها.، وينقل "كيرني" عن الفيلسوف وعالم الأنثروبولوجيا " كلود ليفي شتراوس"(٢٠٠٩-١٩٠٨) أن أسماء الأشخاص في الأسطورة تحمل صوراً متعددة للجروح والآلام ، فأوديب نفسه يعني المتورم القدمين، وأبيه "لايوس" يعني الجانب الأيسر ،وجده " لابداكوس" تعني الأعرج"، أن كل هذه المعانى إنما تؤصل فكرة الصدمات والجروح في أوديب ،ليصير بعد ذلك رمز المعاناة الحكيمة — فالذي جُرح يعرف الطريق إلى الحقيقة، وقد يُرشد غيره عبر لمسته الرمزية.

– تشيرون(Chiron): أحد أبطال الأساطير الإغريقية، كائن نصفه إنسان ونصفه حصان (كينطور)، لكنه كان مختلفًا عن غيره؛ حكيمًا، جُرح بسهم مسموم لا يمكن شفاؤه، لكنه لم يُنكر جُرحه، بل علّم من خلاله فنون الطب والشفاء باللمس، ماتَ بعد أن قدّم نفسه للآخرين، وأصبح نموذجاً لـ"المُعالج الجريح."

<< Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p: 62-65>>

(1) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p:69.

(**) يوجه " كيرني" النقد إلى "سيجموند فرويد" الطبيب النفسي الشهير الذي قلل من أهمية اللمس في عمليات الشفاء، على الرغم من أن " كيرني" يرى" أن "فرويد" نفسه ينطبق عليه فكرة المعالج الجريح الذي يحمل العديد من الآلام في نفسه، فوضعه كيهودي في فيينا المعادية للسامية عرضه للعديد من الآلام، بل وفقدانه لأبنته أيضاً، ولكن فرويد _ وفقاً لكيرني_ قد فضل التحليل النفسي على نموذج اللمس النفسي، وأضاع فرصة الاعتراف بالدور الرئيس للحاسة اللمسية في العلاج.

(2) Kearney, Richard. Touching trauma: Therapy, technology, recovery,P:11.

يتجاوز العلاج الأحادي الاتجاه، في هذه الحالة يكون "المعالج الجريح" هو من يحتوي ألمه الشخصي، لكنه في الوقت نفسه يظل حاضراً بصدق مع ألم الآخر، مدركًا أن هذا الحضور، أكثر من أي كلمات أو أفعال، هو ما يُوقظ الشافي الكامن داخل الآخر، حتى عندما لا يبدو أن هناك ما يمكن فعله، ندرك إننا جميعًا نحمل طاقة الشفاء الإيجابية الموجودة بداخل كل منا، وأن جراحنا الشخصية هي التربة التي يخرج منها "البرعم الأخضر للشفاء"(١)(*)

- **<u>قيمة الضيافة Hospitality</u>:** قبل أن يتحدث "كيرني" عن مفهوم الضيافة، يُذكرنا بأحد المشاهد من "سفر التكوين" حيث يجلس إبراهيم" تحت شجرة في مدينة ممرا، ويرى من بعيد ثلاثة غرباء، فيسرع إليهم، ويطلب منهم أن يقبلوا أن يدخلوا بيته، ويشاركوا معه الطعام، ليدرك بعد ذلك أن الغرباء الثلاثة ما هم إلا ملائكة أتت لتبشره بميلاد الطفل المنتظر(**)، من هذا الحدث تظهر ماهية فعل الضيافة عند "كيرني" ففعل الضيافة في أعماقه يحمل كشفاً للحقائق التي لا يمكن معرفتها عن بعد(٢).

لكن الضيافة عند "كيرني" لا تعني الفعل الاجتماعي فحسب، بل يقصد بها "**ذلك الفعل أو تلك اللحظة التي تنفتح فيها الذات على الغريب، وترحب بكل ما هو غريب وغير مألوف في موطنها**"(***)(٣)، إنها صورة من صورة المخاطرة والانفتاح في التعامل مع الآخر أيضاً، ويستدل على ذلك من الجذور اللغوية لكلمة "ضيف" في اللغة اللاتينية، فهو يرى أن الكلمة اللاتينية "*hostis*" والتي تعني "ضيفًا" تعني في

---

(1) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p: 69.

(*) تجدر الإشارة أن فكرة "كيرني" عن العلاج باللمس كانت قد بدأت في التطبيق الفعلى، وتجري عليها العديد من الدراسات، نذكر منها على سبيل المثال، رسالة دكتوراه بعنوان " في التأثر باللمس: نظرة ظاهراتية تأويلية إلى تجربة اللمس لدى ممارسي العلاج الجسدي "، وتسلط هذه الدراسة الضوء على البُعد العلاجي العميق للّمس بوصفه وسيلة تواصل غير لفظية تُفعّل اللاوعي، حيث أكد المشاركون في الاختبار أن اللمس يساعدهم على تجاوز التفكير المنطقي، والدخول في حالة من الاتصال العميق مع الآخرين، كما أن تجربة اللمس أدت إلى شعور بالترابط العميق بين المعالج والمُعالَج، عن الأثر التبادلى أوضحت الدراسة كيف أن المس لا يؤثر فقط على المريض بل يترك أثرًا جسديًا ونفسيًا فى المعالج نفسه، وأوصت الدراسة بإجراء المزيد من الأبحاث حول تأثير العلاج باللمس فى هوية الممارس ذاته.

<<Cp: Fletcher, Sophie. Touched by Touching: A Hermeneutic Phenomenological look at the Experience of Touch for Bodywork practitioners. Pacifica Graduate Institute, 2021>>

(**) " وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ، ٢ فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلاَثَةُ رِجَال وَاقِفُونَ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ، ٣ وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلاَ تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ. ٤ لِيُؤْخَذْ قَلِيلُ مَاءٍ وَاغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ وَاتَّكِئُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ، ٥ فَآخُذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ، فَتُسْنِدُونَ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجْتَازُونَ، لأَنَّكُمْ قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ». فَقَالُوا: «هكَذَا تَفْعَلُ كَمَا تَكَلَّمْتَ». ٦ فَأَسْرَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْخَيْمَةِ إِلَى سَارَةَ، وَقَالَ: «أَسْرِعِي بِثَلاَثِ كَيْلاَتِ دَقِيقًا سَمِيذًا. اعْجِنِي وَاصْنَعِي خُبْزَ مَلَّةٍ». ٧ ثُمَّ رَكَضَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْبَقَرِ وَأَخَذَ عِجْلًا رَخْصًا وَجَيِّدًا وَأَعْطَاهُ لِلْغُلاَمِ فَأَسْرَعَ لِيَعْمَلَهُ. ٨ ثُمَّ أَخَذَ زُبْدًا وَلَبَنًا، وَالْعِجْلَ الَّذِي عَمِلَهُ، وَوَضَعَهَا قُدَّامَهُمْ. وَإِذْ كَانَ هُوَ وَاقِفًا لَدَيْهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَكَلُوا. ٩ وَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ سَارَةُ امْرَأَتُكَ؟» فَقَالَ: «هَا هِيَ فِي الْخَيْمَةِ». ١٠ فَقَالَ: «إِنِّي أَرْجِعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ امْرَأَتِكَ ابْنٌ» {تكوين ١٨: ١: ١٠}

(2) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p: 19.

(***) By "hospitality," we mean that act or "moment when the self opens to the stranger and welcomes what is foreign and unfamiliar into its home"

(3)Treanor, Brian, and James L. Taylor. : Re-touching Philosophy with Richard Kearney."Art.in: " *Anacarnation and Returning to the Lived Body with Richard Kearney*,P:3

الوقت ذاته "عدواً"، أي أننا عندما نمارس هذا الفعل نكون بين أمرين إما أن نستقبل الآخر أو نقصيه أو نحاربه.(١)

ومن جانب آخر يرى "كيرني" أن فعل الضيافة يمثل نموذجًا للتعامل مع الآخر، سواء كان هذا الآخر إنساناً، أم فكرة(*)، بل تمتد لتشمل الوجود ككل، فهي في جوهرها تعبير عن الانفتاح على الآخر المختلف دون محاولة امتلاكه أو السيطرة عليه، حتى أن مؤلفه الأخير كان بعنوان " Hosting Earth" حاول فيه أن يوسع حدود الضيافة لتشمل الأرض كلها، مؤكداً أهمية التعامل مع كل ما حولنا بحكمة ولباقة لتجنب الكوارث البيئة.(**)

كما يضيف "كيرني" بُعداً أخر لمفهوم الضيافة، فهو يضعها في مقابل لفكرة " الغرابة Uncanny أو الوحشة" عند "هايدجر"، التي يراها ظاهرة أصلية للآنية أو الموجود الإنساني، والتي تعنى شعور الآنية بأنها لم تعد في بيتها –not–being–at home، والذي يمكنها أن تعثر على ذاتها من خلاله، فيصبح القلق هو التعبير عن تلك الحالة(٢)، أن"كيرني" من خلال مفهوم الضيافة يؤكد على الإنسان موجود في بيته الذي هو جسده ، ويجب عليه أن يحمل في داخله شعور الألفة والانفتاح على الآخر، فالحكمة الحقيقية عند "كيرني" تعنى القدرة على التعامل مع الآخر والاستجابة بشكل حدسي للمعانى والإيماءات الضمنية ، إنها الغريزة الأساسية للوجود الإنساني.(٣)

إنها دعوته الرئيسة أن يعود الإنسان مرة أخري إلى جسده، والى حواسه، بتعبير أخر إلى بيته، ولذلك يستعير تلك الأبيات من الشاعرة " جين هوبر(١٩٥٠- ٢٠٠١) " في قصيدة ""Please Come Home" التي تقول فيها:

---

(1) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p:15.

(*) يفرد "كيرني" أحد أبحاثه لمناقشة شكل آخر من أشكال الضيافة، وهو ما يسمى " الضيافة اللغوية linguistic hospitality "، وهو يُرجع هذا المفهوم إلى أستاذه "بول ريكور، الذي يعرف "الضيافة اللغوية" بأنها" فعل سكن كلمة الآخر، الذي يتوازى مع فعل استقبال كلمة الآخر في بيت المرء– مسكنه" ، وفى هذا السياق يؤكد "كيرني" أن الترجمة ليست مجرد نقل لغوي أو إحلال لكلمة مكان أخرى، بل هي فعل ضيافة عميق، يتضمن استقبال الآخر في لغتنا دون محوه أو الهيمنة عليه، إنها كما يرى كيرني" فعل تأويلي وأخلاقي في آنٍ واحد، يقوم على الاعتراف بحدود الفهم البشري، واحترام اختلاف الآخر كما هو، لا كما نريد نحن ان يكون.

<<Cp: Ricoeur, Paul. On translation, Trans. By: Eileen Brennan, Routledge, 2007.p: xvi ,10 & Kearney, Richard. "Double hospitality: between word and touch." Journal for Continental Philosophy of Religion 1.1 (2019): 71-89 >>

(**) يظهر هذا الأمر بوضوح في عنوان المؤلف الأخير لكيرني بعنوان " ضيافة الأرض: في مواجهة الأزمة المناخية الطارئة Hosting Earth Facing the Climate Emergency" يناقش في هذا المؤلف الكيفية التي يجب أن نتعامل بها مع الأرض لا بوصفها شيئًا يملكه أو يهيمن عليه، بل كضيف شريك أو ككائن جدير بالتقدير والاحترام، من اجل تفادي المخاطر البيئة المحدقة بكوكب الأرض

<<cp: Kearney, Richard, eds .Hosting Earth: Facing the Climate Emergency,>>

(٢) صفاء عبد السلام جعفر: الوجود الحقيقي عند مارتن هايدجر، ٢٧١،٢٧٢.

(3) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p:53.

فضلاً عد إلى الوطن.

فضلاً عد إلى جسمك.

إلى الوطن في جسمك، في سفينتك الخاصة، إلى أرضك أنت.(*) (١)

إن كل ما سبق من ملامح وأبعاد للمس إنما يكشف عن أهمية قصوى لهذه الحاسة التي لا نخطئ إذا قلنا إنها تمثل أساس وجودنا، كما يكشف لنا أيضاً كيف تجاوز "كيرني" مفهوم اللمس بمعناه المألوف والتقليدي، ليتدرج بنا إلى مستويات عليا من الوعي باللمس، فهل لنا بعد ذلك إن نطرح السؤال نفسه الذي يطرحه كيرني "كيف نعيد الاتصال باللمس؟ وكيف نعود إلى رشدنا؟ (٢)

رابعاً: استعادة أفراح التجسد

ألم يحن الوقت إذن للعودة إلى حواسنا؟ لنتواصل مجدداً مع أنفسنا ومع الآخرين، ونسترد أرواحنا، ونستعيد أجسامنا ومشاعرنا؟ علينا إيجاد فنون جديدة للمس والتكنولوجيا لمواجهة تحديات عصرنا.(٣)

بعد ما استعرض "كيرني" رؤيته عن أهمية اللمس، وأثره على الإنسان، وكيف ساهمت التكنولوجيا الحديثة فيما يسمي "كسوف لحاسة اللمس"، حين ساهمت في حجب اندماجنا الحسي مع العالم، فأصبحنا بشكل متزايد نفقد التواصل مع أجسامنا وأنفسنا وبعضنا البعض، بل وبالعالم بأسره، ولذلك يحاول "كيرني" في هذه المرحلة التفكير في الطرق التي يمكن من خلالها استعادة قدرتنا على التلامس والتواصل مع الوجود من حولنا، بدلاً من العزلة التي أصابتنا بها التقنيات الحديثة.

(*)Please come home.

Please come home into your own body,

Please come home into your own body, Your own vessel, your own earth.

قصيدة "أرجوك عد إلى الوطن". قصيدة للشاعرة "جين هوبرJane Hooper "(١٩٥٠-٢٠٠١)، صدرت في يوليو ١٩٩٧. وقد وردت هذه القصيدة بشكل ملحوظ في كتاب "سينثيا بورجولت" "الطريق الحكيم للمعرفة"، حيث تُشير بورغولت إلى "جين هوبر" كصديقة حكيمة توفيت في يونيو ٢٠٠١ عن عمر يناهز ٥٠ عامًا، بعد رحلة استمرت ثلاث سنوات مع سرطان الدماغ.

إن القصيدة في مجملها تتماشي مع المعني الذي يقصده "كيرني"، نذكر منها على سبيل المثال:

"فضلاً عد إلى الوطن. فضلاً عد إلى الوطن... فأنت تنتمي إلى هنا الآن..... .أنت تنتمي إلينا .فضلاً اسكن في مكانك بكل جوارحك لنتعلم منك،..... من صوتك، من سلوكك، ومن حضورك.....فضلاً عد إلى الوطن.....فضلاً عودوا إلى دياركم..... .وعندما تشعرون أنكم في دياركم، رحبوا بنا أيضًا،..... فنحن أيضًا ننسى أننا ننتمي إلى ديارنا، وأننا مرحب بنا، وأننا مدعوون للتعبير عن هويتنا بالكامل. ....فضلاً عودوا إلى دياركم. عودوا إلى دياركم... .أنتم وأنتم وأنتم وأنا.....فضلاً عودوا إلى دياركم. عودوا إلى دياركم..... .شكرًا لكِ أيتها الأرض على ترحيبكِ بنا..... وشكرًا لكِ يا لمسة العيون والآذان والجلد،..... لمسة الحب على ترحيبكِ بنا..... .عسى أن نستيقظ ونتذكر من نحن حقًا.....فضلاً عد إلى الوطن.

<<cp: Hooper, Jane. "Please Come Home,Art.in: Bourgeault, Cynthia. The wisdom way of knowing: Reclaiming an ancient tradition to awaken the heart. John Wiley & Sons, 2003,P:46,47,48, 129>

(1) Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p:71

(2) Ibid, p: 3.

(3) Ibid, p: 6.

إن عمل "كيرني" لا يعد جدلاً أحدياً ضد مساوئ التكنولوجيا؛ فالتحدي الحقيقي لدي "كيرني" ليس في قدرتنا على رفض التكنولوجيا الرقمية بسبب الحنين إلى الماضي، لأن ذلك الأمر يعد شكلاً من أشكال السذاجة الفكرية، بل على العكس، فهو لا ينكر قدرتها على التبادل الثقافي والاجتماعى والتجاري مع جميع البشر وفي جميع أنحاء العالم، إن هدف "كيرني" لم يتمثل في نقد التقنيات الحديثة، أو إنتاج صورة جديدة من الثنائيات التقليدية المتقابلة بين الجسدي والافتراضي أو بين الجسد والصورة _على غرار الثنائية الأفلاطونية_ [١] ، ولكن الهدف الرئيس هو فهم واستعادة ما اسماه " أفراح التجسد"(*)[٢]

كان "كيرني" قد عبر عن أزمة اللمس من خلال التقابل بين مفهومي التجسد " Incarnation "،الإقصاء الجسمي"Excarnation ، وها هو يطرح لنا مفهوم "**استعادة التجسد Anacarnation**" باعتباره الوسيلة التي يمكن من خلالها الخروج من تلك الأزمة، فيقول: " أنه في **مواجهة النزعات التي تنادي بالإقصاء الجسمي، يحاول أن يقدم لنا فلسفة "استعادة التجسد A philosophy of Anacarnation**" أي **الفلسفة التي تسعى لإعادة التأكيد على الجسم بوصفه أكثر أساليب وجودنا حيوية وأصالة**((**)[٣].فما الذي يقصده "كيرني" بهذا المفهوم؟

لكي يوضح "كيرني" مفهوم "استعادة التجسّدAnacarnation"، يقوم بعملية تحليل لغوي لمقاطع الكلمة؛ فيشير إلى أن المقطع الأول من الكلمة " Ana" تعود إلى اللغة اليونانية، والتي تحمل عدة معان أهمها: " **من جديد، أو مرة أخرى، أو إلى الأعلى، أو إلى الخلف، سواء في الزمان أو المكان**[٤]"، وحين يضاف هذا المقطع إلى كلمة "carnation"، يتكوّن المصطلح الجديد "Anacarnation" ليشير إلى معنى " العودة من جديد إلى الجسم"، أو "استعادة التجسد" [٥]

وبالرغم من أن استخدام "كيرني" لمصطلح " استعادة التجسد" كان في البداية مرتبط بالجانب الديني أيضاً(***)، إلا انه يضفي عليه الصبغة الفلسفية، ويحوله _على حد تعبيره_

(1)Treanor, Brian, and James L. Taylor. : Re-touching Philosophy with Richard Kearney,P:5,6

(*)Recover the joys of incarnation

(2)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p:6.

(**))In the face of such excarnating trends, I propose a philosophy of anacarnation—a reaffirmation of the flesh as our most vital way of being

(3)Kearney, Richard. "Anacarnation: recovering embodied,P:234

(4) Ana. Online Etymology Dictionary. Retrieved June 4, 2025, from https://www.etymonline.com/word/ana-

(5)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p:78

(***) يربط "كيرني" بين مفهوم التجسد واستعادة التجسد ، فهو يرى أن استعادة التجسد تعني " تكرار عملية التجسد في التاريخ _قبل ميلاد المسيح ، وأثناء وجود المسيح على الأرض وبعد قيامة المسيح ، وذلك من خلال ظهورات لا حصر لها ، وهذا الأمر متوافق مع المعتقد المسيحي ،إذ تؤمن المسيحية أن هناك ظهورات للسيد المسيح (أقنوم الكلمة المتجسد) سابقة لتجسده الفعلي في اكثر من موضع في الكتاب المقدس نذكر منها: الظهور لإبراهيم مع الملاكين عند بلوطات ممرا(تكوين ١٩:١) ، ظهور ليعقوب عند مخاضة يبوق في صورة إنسان وصارعه حتى الفجر، ثم باركه وقال له: "لماذا تسأل عن اسمي(تك٣٢: ٢٩)، وظهور لمنوح والد شمشون(قضاة ١٣:٢٢) ، وظهور للفتية الثلاثة في أتون النار(دانيال ٣:٢٥)، وبعد

إلـــــى " **نمـــــط مـــــن الحيـــــاة العميقـــــة فـــــي الزمـــــانAnachronology والمكان Anamorphology**(*)(١)، وهنا نقف مرة أخـري لنتسـاءل مـا الـذي يقصـده "كيرنـي" بهذا النمط؟

ومتأثراً برؤية أرسطو للمس يصرح "كيرني" إننا جميعاً كائنات مكانية وزمانية وجسدية، وان المعرفة هي أن ندرك أنفسنا متجسدين مراراً وتكراراً (٢)، فالوجود الإنساني هو وجود يقوم على إعادة تشكيل متبادلة بين البشر في الزمان والمكان (٣) ، والذات الإنسانية تعيش فى عملية إعادة تشكيل مستمرة_ كما يعبر عنها بالمصطلح الفرنسي figurant_(**) إذ يشير إلى الذات بوصفها "مؤدياً" على مسرح الحياة، أي أن الإنسان هو من يفعل ويتلقى الأثر في الحياة، ويخلق ويعيد خلق الشخصية "persona" في عالم نعيشه مع الآخرين الذين يشكّلوننا كما نشكّلهم.

إن استعادة التجسد عند "كيرني هي عملية وجودية مستمرة لإعادة تشكيل أنفسنا داخل نسيج الزمان والمكان، لكن الزمان والمكان هنا ليسا مجرد لحظات أو مواقع خطّية سطحية ، بل هما زمان ومكان "عميقان"، فالزمان في تصور كيرني هو " استعادة الزمان "ana–chronological" لا يسير من لحظة إلى أخرى بشكل متسلسل، بل هو تداخل دائم بين الماضي والمستقبل، حيث يُعاد الحاضر تشكيله باستمرار من خلال التكرار والاختلاف، وكذلك المكان ليس حيّزاً هندسياً جامداً، بل هو "استعادة للمكانmorphic"–ana، أي حيّز يتشكل عبر علاقاتنا المتبادلة وتجاربنا الجسدية والانفعالية فيه، بوصفنا موجودات تفعل وتنفعل، وتُعيد تشكيل العالم ويُعاد تشكيلها فيه. (٤) (***)

القيامة اعتبر "كيرني" أن ظهور السيد المسيح للتلاميذ (يوحنا ٢٠:٢٠)،ولمريم المجدلية(يوحنا ١٦:٢٠)،وتوما الرسول(يوحنا ٢٧:٢٠) هو صورة من صور استعادة التجسد الذي يتجاوز حدود الزمان والمكان .

<< cp: Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p:78

وأيضاً انظر: الأنبا بيشوي: المسيح مشتهي الأجيال، الطبعة الثانية ،٢٠٠٧

https://st-takla.org/books/anba-bishoy/christ/index.html

(*) Anacarnation is a way of living deeply in time (anachronology) and space (anamorphology).

(1)Kearney, Richard. "Anacarnation: recovering embodied,P:257.

(2)Kearney, Richard. "Anacarnation: recovering embodied,P:237

(3)Ibid,238

(**) الكلمة في الفرنسية القديمة ***figure*** كانت تعني: "الشكل، الجسد، هيئة الكلمة، صورة بلاغية، رمز أو استعارة"، وهذه بدورها مأخوذة من الكلمة اللاتينية***figurea*** ، التي تعني "شكل، هيئة، نوع، أسلوب، صورة بلاغية"، وفي اللاتينية المتأخرة أصبحت تعني أيضًا "رسمًا تخطيطيًا أو صورة مرسومة"، وهي تعود إلى الجذر الهندو–أوروبي البدائي ***(–dheigh)*** الذي يعني "يُشكّل أو يبني."

<< Figurant. Online Etymology Dictionary, (n.d.), from https://www.etymonline.com/search?q=figurant, Retrieved June 7, 2025>>

(4)Kearney, Richard. "Anacarnation: recovering embodied,P:237,238

(***) يمكن لنا أن نلاحظ تشابهاً بين مفهوم "كيرنى" عن العودة ،ومفهوم "العود الأبدي" عند نيتشه، فإذا كانت فكرة "**ana–**" عند "كيرني" تشير إلى العودة المتجددة والخلاقة إلى العالم عبر الحواس والجسم والذاكرة، بشكل يتجاوز الزمان الخطي ، وتتداخل فيه اللحظة الحاضرة مع الماضي والمستقبل ، فهو بذلك يقترب من الهدف الحقيقي من فكرة "العود الأبدي" عن

إن ما يريد "كيرني" أن يوضحه هو أن استعادة التجسد لا ترتبط فقط بالحاضر اللحظي، بل هي في أساسها عملية البحث عن المـاوراء" "Meta"، ما وراء اللحظة الحالية، لندرك أن كل لحظة هي تدفق متعدد الطبقات من آفاق أمامية وخلفية، وهكذا ننفذ من خلال الزمان السطحي إلى الزمان العميق. (١)

ومن المنظور نفسه يحاول "كيرني" تطبيق تلك الفكرة على التكنولوجيا، فهو أصبح يبحث عن استعادة التكنولوجيا "**ana-technology**"، ليصبح السؤال الأساسي الذي يطرحه: هل يمكننا أن نصل إلى مرحلة" استعادة التكنولوجيا "ana-technology" أي أن تقوم التكنولوجيا الرقمية *بطرح ذاتها* كموضع للتساؤل، وأن تُعيد فتح مجالات تتيح إبداع سبلاً جديدة لإعادة السكن في عالمنا(*)(٢).

إن التحدي الحقيقي عند "كيرني" يتمثل في أن نجد طرائق جديدة للتوافق بين أجسادنا الحقيقية المادية والعوالم الرقمية، مع الاعتراف باختلافاتهما، واستكشاف إمكانيات التعايش المتبادل بينهما— بما يسمح لنا بأن نتواصل جسمياً، وعاطفياً، ونفسياً، وإنسانياً (٣).

من هذا المنطلق، يمكننا الوقوف على بعض الطرق التي يقترحها "كيرني" لتحقيق هذا التعايش(**)، ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

أ. **الانتقال من عصر الهيمنة البصرية إلى عصر التكافل(***):** أولى الطرق التي يقترحها "كيرني" تتمثل في محاولة تجاوز عصر ما أسماه عصر الأنثروبوسين Anthropocene " (****) أو عصر الهيمنة البصرية، الذي يتسم بهيمنة التكنولوجيا

"نيتشه" الذي يضع الزمان الخطي كعدو يجب التغلب عليه ،ويدعو الإنسان أن يحيا حياته كما لو كان سيعيشها مراراً إلى الأبد، والملاحظ أن كليهما يعتبران فكرة العودة او بشكل أدق فكرة اللحظة هي البوابة التي يمكن من خلالها الوصول إلى عمق الزمن ، وتمكن الإنسان من الخلق والإبداع .

<< انظر : فريدريش نيتشه:هكذا تكلم زرادشت،"الأمنية العظمى" ، ص٢٥٣.>>

(1)Ibid,238

(*)Namely, digital technology putting itself in question and reopening spaces where we might invent new ways to reinhabit our world— what we might call "ana- technology"

(2)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p: 129

(3) Kearney, Richard. Touching trauma: Therapy, technology, recovery,P:16.

(**)يشير "كيرني" إلى أن هذه الطرق هي نتيجة مناقشات عديدة مع طلابه، ويوضح كيف أسفرت حلقات النقاش عن العديد من الأفكار.

(***)we move from the Anthropocene of optocentric dominance to a Symbiocene.

<<cp: Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p: 130>>

(****) مصطلح "**Anthropocene**" لغوياً يتكون من مقطعين "**anthropo**" والتي تعني الإنسان ، "**cene**" والتي تعني حقبة أو عصر ، وترجع بدايات ظهور هذا المصطلح في الظهور إلى منتصف القرن العشرين للدلالة على حقبة زمنية جديدة يتم إضافتها إلى الحقب الجيولوجية لتكوين الأرض ، وتشير إلى الحقبة الجديدة في تاريخ الأرض التي أصبح فيها للأنشطة البشرية تأثير كبير جداً في بيئة الأرض ومناخها.

<< *cp: Anthropocene*. In Online Etymology Dictionary. (n.d.) Accessed June 12, 2025, from https://www.etymonline.com/word/Anthropocene

"Anthropocene." Cambridge Dictionary, Cambridge University Press, https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/anthropocene. Accessed 12 June 2025.

على كوكب الأرض ، إلى ما يعرف بعصر السمبيوسيني " Symbiocene " (*****) أو ما يعرف باسم "عصر التكافل" الذي يتم فيه التأكيد على الترابط بين الحياة البشرية وجميع الكائنات الحية الملموسة، ويستلزم هذا التحول في طبيعة التكنولوجيا (١)

إن الحضارة الغربية بالنسبة لكيرني هي حضارة هيمنت عليها الصورة، وقدست الفكر والنظر العقلي، وبالتالي كانت هيمنة البصر على حساب الحواس الأخرى، ونتج عن ذلك حدوث نوع من القطيعة بين الإنسان والطبيعة، ولذلك تأتي دعوته إلى عصر "السمبيوسين"، حيث يُعاد بناء علاقتنا مع العالم على أسس من الرعاية والتكافل، وتحقيق التوازن بين ما هو افتراضي وما هو ملموس دون إقصاء لأي منهما، إن استعادة حواسنا اليوم يعني أن نكون على درجة رفيعة من الحساسية لكل من الوجود الرقمي والوجود الجسدي.(*) (٢)

ب. **استبدال مبدأ (أما /أو) بمبدأ (كلاهما/أيضاً)(Both/and)**: إذا كان "كيرني" منذ البداية يؤكد أن السبب في أزمة اللمس هو سيطرة الثنائيات الفلسفية المتقابلة المتمثلة في مبدأ (إما /أو) إما النفس أو الجسم _ إما المادي أو المثالي _ إما العقلي أو التجريبي، فهو يضع مبدأً مغايراً وهو مبدأ (كلاهما / وأيضاً) ، فبدلًا من الاختيار بين اللمس الجسمي أو الرقمي، يدعو "كيرني" إلى الجمع بينهما، فهو يرى أننا لكي نعيش في عالم الغد، سنكون في احتياج إلى الخيال الافتراضي والاتصال الجسمي المباشر، وبالتالي فهو لا يدعو إلى رفض التكنولوجيا، بل إلى الجمع بين اللمس الرقمي واللمس الجسمي، والتفكير في فنون جديدة يتم فيها التعاون بينهم (٣)، على سبيل المثال نجد الانتشار الواسع للساعات الذكية التي تتفاعل مع الجسم الإنساني من خلال متابعتها لمعدل ضربات القلب ودرجة الحرارة وأنماط النوم والحركة(٤)، وبالرغم من أن هذه المحاولات _على حد تعبير "كيرني" – لا تزال جنينية ،إلا أنها تنبئ بإمكانية التعاون والجمع بين ما هو افتراضي ورقمي وما هو جسمي. (٥)

(*****)مصطلح **Symbiocene** : مأخوذة من اليونانية symbioun ، وتعني "يعيش معًا مع"، والمشتقة بدورها منsymbios ، أي "التعايش" أو "العيش المشترك" ، ومنها أيضاً يأتي مصطلح " **symbiosis** " الذي يشير إلى علاقة بين نوعين من الحيوانات أو النباتات، يوفّر كل منهما للآخر الظروف اللازمة لبقائه واستمراره.

<<cp: symbiotic. In Online Etymology Dictionary. Accessed June 12, 2025, from https://www.etymonline.com/word/symbiotic

- "Symbiosis." Cambridge Dictionary ‹Cambridge University Press› https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/symbiosis. Accessed 12 June 2025

(1)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p:6

(*)To recover our senses today is to remain sensitive to both cyber and carnal existence

(2)Ibid, p: 132.

(3)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p:130, 132.

(4)Ibid,"nots",P:190.

(5)Ibid, p: 130

ج. **الاهتمام بديناميكية الإحساس المزدوج:** إذا كان عصرنا قد فرض علينا أن نعيش في عصر ما يسمي "بحضارة الصورة "Civilization of the Image" [١]، فيجب علينا أن نحذر من أن يحل وهم الوجود أحادي الاتجاه محل الخبرة الحياتية المتبادلة ، لقد مكنتنا التكنولوجيا من القرب من كافة الأحداث، أن نفرح أو نتعاطف أو نتألم مع الآخرين في شتى بقاع الأرض، ولكن ما يجب علينا التأكيد عليه هو ألا نكتفي بمجرد "رؤية" الألم أو الفرح من خلال شاشات اللمس[*]، بل أن نسمح لتلك المشاعر أن تتلامس معنا، أن نتشارك فعلياً وجسمياً بدلاً الاكتفاء بمجموعة من الصور التي تمثل انطباعاتنا أو تعبيراتنا[**] [٢]

د. **اللمس المتبادل مع الكائنات غير البشرية (الحيوان، والنبات، والأرض):** يرى "كيرني" أن العودة إلى الجسم تشير إلى الترابط بين الأشياء بصفتنا كائنات ملموسة، نتعايش مع الآخرين في دائرة متبادلة من اللمس، و لكن "كيرني" يشير أيضاً إلى أن دائرة اللمس المتبادل هي دائرة متسعة، لا تقتصر على البشر ،ولكنها تمتد لتشمل تلامسنا مع الطبيعة التي يري إننا مرتبطون بها[***][٣]، ومن هنا يظهر نوع أخر من التواصل، التواصل اللمسي مع الكائنات غير بشرية، كالحيوانات والنباتات وحتي مظاهر الطبيعة كالجبال والبحار، ويستعين "كيرني" مرة أخرى بالكاتب "ريتشارد لوف " الذي يوجه نداء عبر كتابه" *Our Wild Calling*" لما أسماه إعادة الاتصال العلاجي مع عالم الطبيعة، مستشهداً بالعديد من الدراسات التي توضح كيف ساهم القرب من الحيوانات والأشجار والنباتات في التقليل من أعراض العديد من الأمراض كالقلق والتوتر والاكتئاب وغيرها، كما أنها ساهمت في زيادة معدلات إحساسنا

---

(1)Ibid,36.

(*) يستشهد "كيرني" بمشاهد الطفل السوري الرضيع الغارق "إيلان" والتي جرفت الأمواج جثته إلى جزيرة ليسبوس اليونانية في سبتمبر ٢٠١٥، الأمر الذي نتج عنه تعاطفاً دولياً مع اللاجئيين السورين، كان الطفل السوري "إيلان الكردي"، البالغ من العمر ثلاث سنوات، قد لقي حتفه أثناء محاولة عائلته الفرار من الحرب في سوريا إلى أوروبا عبر البحر، وأثناء ذلك انقلب القارب الذي كان يقلهم قبالة سواحل بودروم التركية، مما أدى إلى وفاته مع والدته وشقيقه، بينما نجا والده. أثارت صورة الطفل إيلان، صدمة عالمية وأصبحت رمزًا لمعاناة اللاجئين السوريين .أدت هذه الصورة إلى تحولات في سياسات اللجوء لدي العديد من الدول مثل ألمانيا وكندا والمملكة المتحدة.

<< انظر: قصة إيلان. صورة طفل هزت ضمائر الدول وغيرت سياسات اللجوء، موقع العربي الجديد، ٢ سبتمبر ٢٠٢٣،

https://www.alaraby.com/news/ تم الدخول في ٤ يونيو ٢٠٢٥.

(**) 😀😑😢😱☹️❤️💔

تعتبر هذه الصور الأدوات التي نستخدمها الآن في التعبير عن المشاعر في المحادثات النصية على مواقع التواصل الاجتماعي.

(2)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p:119

(***) يستخدم "كيرني" عبارة **We are betrothed to nature.** " ليشير أن هناك علاقة ارتباط عميقة مع الطبيعة، أشبه بعهد أو ميثاق روحي وجسدي لا يمكن فصله، ويستخدم "كيرني" هذا التشبيه المجازي للدلالة على أن علاقتنا بالطبيعة ليست خارجية أو سطحية، بل علاقة التزام وجودي وتشارك مصيري.

(3)Kearney, Richard. "Anacarnation: recovering embodied,P:234

بالرفاهية، مؤكداً أن عودتنا إلى حياتنا الحسية يستلزم أن نعود إلى الاتصال بالكائنات الحية والطبيعة وليس الإنسان فقط . (١)

إن "كيرني" يتبني رؤية "ولف" في تطبيق ما أسماه مبدأ المعاملة بالمثل كطريق للعودة إلى الطبيعة، وهذا يعني أنه في مقابل كل لحظة شفاء يتلقاها الإنسان من إنسان آخر، يُقدّم البشر لحظة شفاء مُساوية لذلك الحيوان، وفى مقابل كل فدان من الأرض التي نستولي عليها، سنحافظ على فدان آخر على الأقل للحياة البرية، وفى مقابل كل دولار نُنفقه على تكنولوجيا الفصول الدراسية، سـنُنفق دولاراً آخر على الأقل على خلق فرص للأطفال للتواصل بعمق مع حيوان أو نبات أو شخص آخر، وفي مقابل كل يوم من الوحدة نتحمله، سنقضي يوماً في تواصل مع الحياة من حولنا حتى نتغلب عليها.(٢)

وفي النهاية يمكننا القول إن "كيرني" يقدم لنا دعوة إلى إعادة الاعتبار لحاسة اللمس، إن رؤيته تعد بمثابة مشروع فلسفي متكامل لإعادة صياغة علاقتنا بالعالم في زمن تتنازع فيه الهيمنة البصرية والتجربة الملموسة، ومحاولة لتوطيد علاقتنا مع بعضنا البعض، وعلاقتنا بكافة الكائنات الحية، بل ومع البيئة الطبيعية بأسره، إن هذا النداء الفلسفي إذا أُخذ على محمل الجد، قد يفتح أمامنا طريقًا لمستقبل تتناغم فيه التكنولوجيا مع الحواس، والإنسان مع الطبيعة، في إطار علاقة ضيافة متبادلة تسع الجميع.

الخاتمة

والآن يمكننا حصر النتائج التي توصلنا إليها في الإجابة عن التساؤلات الرئيسة في البحث، والتي طرحناها في المقدمة سعياً للإجابة عن التساؤل المحوري " **هل سيحتفظ اللمس الجسمي بدوره المعرفي والقيمي والوجودي برغم التطورات التكنولوجية الحديثة؟**

أولاً: فيما يخص التساؤل عن ملامح أزمة اللمس في الوقت الراهن وجدنا أن:

١. يختزل "كيرني" أزمة اللمس" في مصطلح " الإقصاء الجسميExcarnation " الذي أصبح السمة الرئيسة التي تميز عصرنا الحالي، ويقصد بها الابتعاد التدريجي عن التجربة الجسدية المباشرة خاصة اللمس، ويُرجع "كيرني" السبب في ذلك إلى هيمنة التكنولوجيا والوسائط الرقمية، والاعتماد المتزايد على التقنيات الافتراضية الذي أصبح يهدد بتلاشي الروابط الحسية الأساسية بين البشر، كما

(1)Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p:110.

(2)Louv, Richard, Our Wild Calling: How Connecting with Animals Can Transform Our Lives,P:273.& Kearney, Richard. Touch: Recovering our Most Vital Sense, p:111.

يعزز فكرة التباعد بين البشر، الأمر الذي أصبح ينذر بفقدان تدريجي للتجربة الحسية الأصيلة.

٢. يحصر "كيرني" مظاهر متعددة للإقصاء الجسمى في مختلف مظاهر حياتنا تتدرج من أبسط التعاملات اليومية التي نقوم بها كالتفاعل مع الأصدقاء والتسوق، مرورا بالتعليم والعمل عن بعد، ولم يستثن أيضاً مجالات السياسة والصحة، حتى الجنس مجال اللمس الأكثر حميمية أصبح يتم بشكل غير مباشر من خلال مواقع المواعدة الإلكترونية، ومنصات التواصل الاجتماعي

٣. خلفت هذه المظاهر وراءها شعوراً جديداً أطلق عليه "كيرني" " الجوع إلى اللمسTouch Hunger " باعتباره احد الأعراض الدالة على حاجتنا الإنسانية الملحة إلى إعادة ربط ذلك العالم الافتراضي بعالمنا الحقيقي الملموس.

ثانياً: فيما يخص التساؤل عن العلاقة بين أزمة اللمس والتراث الفلسفي:

حاول "كيرني" البحث والتنقيب في جذور الفكر الفلسفي للوقوف على أسباب النظرة الدونية لحاسة اللمس، فوجد أن النظرة للمس تراوحت بين الصعود والهبوط في مراحل الفكر الفلسفي المختلفة، فوجد ما يلي:

١. **أولاً: في الفكر اليوناني:** ساهمت الرؤية الأفلاطونية للجسم بصفة عامة في تهميش حاسة اللمس لصالح البصر، فالجسم بكل حواسه عند "أفلاطون" يعد عائقاً في طريق المعرفة الحقة، والحواس ليست سوى مصادر غير موثوق بها للإدراك، حتى إن البصر _ رغم تفوقه_ لا يعد مصدراً موثوقاً به، ناهيك عن سائر الحواس التي يأتي اللمس في أدنى مستوياتها.

وفي المقابل احتفي "كيرني" بتصورات أرسطو عن حاسة اللمس، التي أبرز فيها اللمس باعتباره الحاسة التي يمتلكها جميع الكائنات الحية دون استثناء، كما أوضح أرسطو أيضاً الجانب الانتقائي والتميزي لحاسة اللمس، وأيضاً الطابع التواصلى للمس؛ فهو الذي يبقينا منفتحين على الواقع ومتصلين بالآخرين، فاللمس لا يعزلنا عن الواقع، بل يضعنا في صميم التجربة، حيث نستجيب بشكل فوري وفردي لكل موقف نواجهه.

٢. **ثانياً: في الفكر المسيحي:** وجد "كيرني" أن علاقة المسيحية باللمس مثلت مفارقة ذات جانبين:

- **الجانب الأول:** ظهرت فيه المسيحية باعتبارها العقيدة التي تقوم على مبدأ التجسد، الذي يقتضي بدوره رفض أي تصور يقلل من قيمة الجسد بوجه عام، وحاسة اللمس

بوجه خاص، ويؤكد على الأمر بالعديد من الأدلة الكتابية، خاصة معجزات السيد المسيح التي استخدم فيها اللمس، وأطلق "كيرني" عليها "**اللمسة الشافية**" التي لم تكن تتعلق بالشفاء الجسدي فحسب، ولكنها أيضاً كانت تحمل في داخلها الشعور بالتعاطف، والحضور، والتواصل الذي يدعم الشفاء النفسي قبل الشفاء الجسدي، كما تنتقض فكرة التمييز بين الطاهر والنجس التي رسختها الأفلاطونية، والعقيدة اليهودية.

- **<u>الجانب الثاني</u>:** تمثل في كتابات آباء ومفكري العصور الوسطى التي تباينت فيها الرؤية حول اللمس، ففي حين أن البعض أظهر دونية اللمس متأثرين بالفكر الأفلاطوني كالقديس_"أوغسطين" أكد أن المعرفة الحقة لا تتم من خلال التلامس مع العالم الحسي، بل عبر عودة العقل إلى ذاته ومن ثم إلى الله.

أن " كيرني" يري أن تاريخ المسيحية هو قصة التواصل مع الجسد أو الانفصال عنه، وهذا الانفصال يأتي من خلال سيادة المفاهيم الأفلاطونية، ولكن يجب أن نحزر، فهذا الانفصال يمثل خيانة لحقيقية الكلمة المتجسد.

٣. **<u>العصر الحديث: أشار "كيرني إلى الفينومينولوجيا ساهمت في إعادة الاعتبار لحاسة اللمس</u>** خاصة مع أفكار "هوسرل" عن الجسم ، حيث اعتبره الأداة التي نعيش من خلالها تجربتنا في العالم، وتأكيده أن الإدراك لا ينفصل عن الجسم بل يبدأ من الإحساسات الجسمية التي نتلاقها من خلال الحواس بشكل عام ، ومن بين الحواس يعطى "هوسرل" اللمس أهمية خاصة، فهو الحاسة الأساسية التي يتكون من خلالها إدراكنا الأصيل، وهذا ما يجعل اللمس عند "هوسرل" ليس مجرد حاسة بيولوجية، بل **شرطًا أنطولوجيًا** لعلاقتنا بالعالم، وبأنفسنا، وبالآخرين.

<u>ثالثاً: فيما يخص التساؤل عن الأبعاد المختلفة لحاسة اللمس عند "كيرني": وجدنا أن:</u>

١. يطرح "كيرني" مفهوماً جديداً للفلسفة، فإذا كانت الفلسفة في أبسط تعريفاتها هي محبة الحكمة، وارتبطت الحكمة في تاريخ الفكر الفلسفي خاصة في التراث الأفلاطوني بالفكر النظري والفكر العقلى، فينقلنا "كيرني " لصورة جديدة من صور الحكمة وهي " الحكمة الجسميةthe carnal wisdom " التي تنبع من الجسم، ومن الحواس، ومن التلامس الحي مع العالم.
٢. يربط "كيرني" مفهوم الحكمة الجسدية بمفهوم جديد، وهو مفهوم "اللباقة الجسمية أو الحس اللمسيtact " أو اللباقة الجسدية الذي يراه المرادف الحقيقي لمفهوم الحكمة فيقول: " إن الحكمة هي الحس اللمسى"
٣. يؤكد "كيرني" على أن ما أسماه "الحس اللمسي اللبق tact " عندما يتغلغل في كل

الحواس يُعيد تشكيلها من الداخل؛ فالبصر يصبح بصيرة، والسمع يتحول إلى إصغاء، والشم إلى فراسة، والتذوق إلى فطنة وحكمة حية.

٤. تأكيداً على نظرة "كيرني" الجديدة لمفهوم الحكمة، يمكننا أن ننظر إلى حاسة اللمس باعتبارها تجربة إنسانية شاملة لأبعاد الحكمة الثلاثة: الأنطولوجيا، والإبستمولوجيا والأكسيولوجيا، ويمكن حصر ملامح هذه الأبعاد الثلاثة كالتالى:

- **ملامح البعد الأنطولوجي للمس: ويمكن حصرها في النقاط التالية:**

- **<u>اللمس كطريقة للوجود: أي أن</u>** اللمس أولي للوجود الإنساني، وأساس أنطولوجي سابق لكل أفعال الذات، بما فيها فعل الإمكان "أنا أستطيع"، والإرادة "أنا أريد، فالإنسان يعيش في العالم من خلال اللمس، وتبقى أثاره في أجسامنا كأثر لا يُنسى، فكأننا بأصابعنا ننقش ونشكل ملامح وجودنا.

- **<u>اللمس والانفتاح الجسمي:</u>** فاللمس عند "كيرني" يعتبر البوابة التي تجعلنا تنفتح على العالم، أي أنه المدخل الدائم إلى علاقة حيّة مع العالم والآخرين.

- **<u>اللمس بوصفه مخاطرة وجودية:</u>** فنحن مع كل لمسه نخوض مغامرة، إنها مغامرة من أجل الحضور: أن أكون موجوداً في هذا العالم من خلال جسمي، باعتباره الوسيلة التي ألتقي بها بالآخرين، وفي الوقت نفسه النقطة التي أكون فيها عرضة للخطر والانكشاف.

- **ملامح البعد الأبستمولوجي ويمكن حصرها في النقاط التالية:**

- **<u>المخاطرة كأساس للمعرفة الحسية:</u>** فإذا كان لمس الآخر يعد مخاطرة لعدم قدرتنا على توقع استجابة الآخر، فلمس الأشياء بغرض المعرفة يعد مخاطرة أيضاً، لأنني من خلالها أستكشف طبيعة هذا الشيء الذي ربما يكون بارداً، وربما يكون ساخناً، ربما يكون حاداً، حارقاً، وربما قاتلًا!

- **<u>اللمس كتجربة تأويل جسمية:</u>** يؤكد "كيرني" أن اللمس يعد عملية معقدة تتضمن قدراً من الفهم والتأويل، فإحساساتنا هي في حد ذاتها قراءة للعالم، وتفسير للأشياء، تسجيل مستمر للفروق والاختلافات.

- **<u>ملامح البعد الأكسيولوجي ويمكن حصرها في النقاط التالية:</u>**

- كل لمسة عند "كيرني" تحمل في داخلها بُعداً قيماً يتطلب حساسية تأويلية دقيقة لفهم دلالتها في سياقها الخاص، ففعل المصافحة كأبسط أشكال اللمس، ليس مجرد إيماءة شكلية، بل قد يحمل معاني الحرب أو السلام، بناء الحضارة أو هدمها.

- من القيم التي ارتبطت بفعل اللمس عند" كيرني":

أ. **<u>قيمة الشفاء:</u>** يُبرز "كيرني" عمق العلاقة بين الشفاء واللمس، فهي علاقة

تضرب بجذورها في أعماق الفكر الإنساني، نراها في الأساطير اليونانية، وتتجلى بوضوح في شخص السيد المسيح الذي يطلق عليه "كيرني" اسم "الشافي الجريح" الذي يلمس المرضى ليشاركهم ألمهم ويمنحهم الشفاء.

إن الشفاء هنا يعبر عن حالة تواصل حسيّ وإنساني، فكل منا يحمل ألماً في داخله، ولكن من يمكنه أن يحتوي ألمه الشخصي، ويظل حاضراً بصدق مع ألم الأخر، مدركًا أن هذا الحضور هو الأقوى تأثيراً من أي كلمات أو أفعال، هو من يُوقظ قيمة الشفاء الكامنة داخل الآخر، إننا جميعًا نحمل إمكانية الشفاء في داخلنا، وجراحنا الشخصية هي التربة التي يخرج منها "البرعم الأخضر للشفاء".

ب. <u>قيمة الضيافة</u>: تمثل الضيافة عند "كيرني" **اللحظة التي تنفتح فيها الذات على الغريب، وترحب بكل ما هو غريب وغير مألوف في موطنها**"، سواء كان هذا الغريب شخصاً أو فكرة، بل تمتد لتشمل الوجود بأسره.

إن "كيرني" من خلال مفهوم الضيافة يؤكد على الإنسان موجود في بيته الذي هو جسده، ويجب عليه أن يحمل في داخله شعور الألفة والانفتاح على الآخر، فالحكمة الحقيقية تتمثل فى القدرة على التعامل مع الآخر والاستجابة بشكل حدسي للمعانى والإيماءات الضمنية، إنها الغريزة الأساسية للوجود الإنساني.

إن كل هذه الملامح إنما تؤكد على شمولية تجربة اللمس عند "كيرني"، بل تؤكد على رؤيته الجديدة لما أسماه "الحكمة الجسمية" بطريقة مماثلة للحكمة النظرية.

<u>رابعاً: فيما يخص التساؤل عن العلاقة بين اللمس الجسمي واللمس التكنولوجي: وجدنا أن:</u>

١. يطرح "كيرني" مفهوم "استعادة التجسدAnacarnation" باعتباره السمة الأساسية للفلسفة الجديدة التي تسعى لإعادة التأكيد على الجسم، إنها نمط من الحياة العميقة في الزمان والمكان، و تلك العملية المستمرة التي تقوم بها الذات الإنسانية لإعادة تشكيل نفسها عبر علاقتنا المتبادلة وتجاربنا الجسدية التي تتجاوز حدود الزمان والمكان.

٢. يحاول "كيرني" تطبيق تلك الفكرة على التكنولوجيا، فيبحث عن "**استعادة التكنولوجيا "ana-technology**، أي التكنولوجيا التي تحاول إعادة تشكيل نفسها، من خلال إيجاد طرق جديدة تتوافق فيها بين أجسامنا الحقيقية المادية والعوالم الرقمية، مع الاعتراف باختلافاتهما، مع استكشاف إمكانيات التعايش المتبادل بينهما— بما يسمح لنا بأن نتواصل جسديًا، وعاطفيًا، ونفسيًا،

وإنسانياً.

٣. يقترح "كيرني" بعض البطرق التي يمكن من خلالها تحقيق هذا التعايش، من أهمها:

أ. **الانتقال من عصر الهيمنة البصرية إلى عصر التكافل:** الذي يتم فيه التأكيد على الترابط بين الحياة البشرية وجميع الكائنات الحية الملموسة.

ب. **استبدال مبدأ (أما /أو) بمبدأ (كلاهما/أيضاً)(Both/and):** ولأننا سوف ننتقل إلى عصر التكافل ،فبالتالي لابد من الالتزام بمبدأ **(كلاهما/أيضاً)(Both/and)**، أي المبدأ الذي يحاول الجمع بين اللمس الرقمي واللمس المتجسد .

ج. **الاهتمام بديناميكية الإحساس المزدوج:** فلا نكتفي بالقرب أو التعبير عن المشاعر من خلال التكنولوجيا، بل يجب الحرص أن نتشارك فعلياً وجسمياً، بدلاً من مجموعة الصور التي تمثل انطباعاتنا أو تعبيراتنا.

د. **اللمس المتبادل مع الكائنات غير البشرية (الحيوان، النبات، الأرض):** يوصي "كيرني" بضرورة التواصل اللمسي مع الكائنات غير بشرية، كالحيوانات والنباتات، وحتى مظاهر الطبيعة كالجبال والبحار، وذلك لأنها تبقينا في تواصل مع الوجود، كما إنها تساهم في تشكيل ذاكرتنا الحسية.

وأخيراً: يمكننا الآن أن نجمل أهم النتائج التي توصلنا إليها في الإجابة عن السؤال الرئيس: **إلى أى مدى نجح كيرني في إعادة تشكيل رؤيتنا للمس، وهل سيحتفظ اللمس الجسمى بدوره المعرفي والقيمي والوجودي برغم التطورات التكنولوجية الحديثة؟** فوجدنا أن:

١. نبه "كيرني" إلى ضرورة وأهمية حاسة اللمس الجسمي، وهي ضرورة ظهرت بوضوح في ظل التطور التقني المهيمن على حاسة البصر، وتجلّت ذروتها فيما سمّاه "كسوف اللمس" خلال جائحة كورونا، التي كشفت عن خطورة التنازل أو التفريط بهذه الحاسة.

٢. في رؤيته تخطى "كيرني المفهوم التقليدي للمس الجسمي باعتباره حاسة من الحواس بل على حد تعبيره " قلب وروح الحواس، والوسط الحسيّ البيني الذي يجعل كل تلاقي حسي بين العوالم الداخلية والخارجية ممكناً.

٣. كانت إضافة "كيرني" لمفهوم "الحس اللمسي Tact" أو اللمس اللبق، ليتحول اللمس من خلالها إلى شكل جديد للفلسفة باعتبارها الحكمة المجسدة، مما يجعلتنا نتخطى المعني الحرفي للمس، والإقرار بأن جميع الحواس هي أنماط للمس، حتى أن اللغة بحد ذاتها قد تُعدّ ضرباً منه، فاللمس "يتحدث" تماماً كما "تلمس" اللغة ".

٤. يدمج "كيرني" التحليل الفينومينولوجي لتجربة اللمس مع التأويل الهيرمينوطيقي، مما يتيح فهمه من زوايا أنطولوجية ومعرفية وقيمية في آن واحد. مما أظهر أثره العميق في التجربة الإنسانية والتواصل الإنساني

٥. لم كتفِ "كيرني" بنقد مظاهر الإقصاء الجسمي الناجمة عن التكنولوجيا الحديثة، بل سعى لطرح رؤية متوازنة تدمج بين اللمس الجسدي واللمس التكنولوجي، مؤكداً أن استعادة اللمس في حياتنا ليست مجرد رفاهية، بل ضرورة للشفاء الفردي والجماعي، ولمواجهة العزلة الحسية التي تفرضها الحياة المعاصرة.

ولكن يبقى السؤال "هل سيحتفظ اللمس الجسمى بدوره المعرفي والقيمي والوجودي برغم التطورات التكنولوجية الحديثة؟"

بالرغم من المحاولات التي تُبذل من اجل الإبقاء على اللمس الجسمي، إلا أن التطورات التكنولوجية تضعنا دائماً في مأزق نذكر منها على سبيل تفضيل العوالم الافتراضية لما تقدمه للبشر من دعم، في كافة المجالات على سبيل المثال مجال التعليم والمعرفة والدعم العملى والاكاديمى والمهني ،حتي المجال النفسي والعاطفي ، كن كل هذه الأشكال – رغم أهميتها– إلا أنها أصبحت تنتقص من التجربة الحسية المباشرة، حيث يتم استبدال التفاعل الجسدي الحي بوسائط رقمية تفتقر إلى حرارة الجسد وثراء الملامس، مما يؤدي إلى تآكل الروابط الإنسانية الملموسة، وتحويل الحضور الجسدي إلى حضور مُحاكى فقط، فحين يصبح التواصل مع الكائنات الافتراضية أفضل من التواصل مع الكائن الإنساني، فنحن حقاً في خطر يجب أن نحذر منه؟!

<u>وبناءً على كل ما سبق، خلصت الباحثة إلى مجموعة من التوصيات كالتالى:</u>

١. إجراء المزيد من الدراسات الأكاديمية عن فكر "ريتشارد كيرني"، لما يمثّله من مجال خصب تفتقر إليه المكتبة العربية، ولا سيما من خلال الدراسات المقارنة بين رؤية "كيرني" والفلاسفة الذين لهم نفس التوجه، مثل "إدموند هوسرل"، و"مارتن هايدجر"، و"جاك دريدا"، و"بول ريكور"،" ايمانويل ليفانس" لاستكشاف نقاط الاتفاق والاختلاف في معالجة مشكلات الجسم والحضور الحسي، مع التركيز على فلسفة اللمس بوصفها مدخلًا لفهم أوسع للعلاقة بين الجسم والروح، وربطها بمفاهيم الضيافة، والتجسد، واستعادة التجسد.

٢. التأكيد على دعوة "كيرني" في الوصول إلي فنون جديدة للتعامل مع اللمس حيث يتم دمج فلسفة اللمس في البرامج التعليمية: كالتركيز على الأنشطة التى تعتمد التجارب اللمسية كاستكشاف الملمس والحرارة والوزن من خلال التلامس المباشر مع

العناصر الطبيعية: كخشب، والطين، والرمال، حتى النباتات، وأيضاً الحيوانات مع مراعاة قواعد الأمان والسلامة.

٣. تدعيم نشر مبادرات "العودة إلى الطبيعة" من خلال الأنشطة الجماعية كالرحلات والمعسكرات، وخاصة لدى الأطفال والشباب، بهدف مقاومة آثار العزلة الرقمية وتقليل الاعتماد المفرط على الوسائط البصرية، وأيضاً دعم مبادرات الضيافة الجسدية والثقافية التي تتيح التواصل الإنساني المباشر، وتعيد الاعتبار للتواصل الحسي كشرط للتجربة الإنسانية الكاملة.

٤. إجراء المزيد من الأبحاث الأكاديمية عن أثر تقنيات الذكاء الاصطناعي والواقع الافتراضي ، التي تحاول دراسة مخاطر الإقصاء الجسمي في العصر الرقمي، بهدف الوصول إلى سبل تحقق التوازن بين الاستفادة من التطور التكنولوجي، والحفاظ على جوهر التجربة الجسمية الحية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأجنبية:

أ. المصادر الأجنبية الخاصة بريتشارد كيرنى:

1. **Kearney, Richard.** The wager of carnal hermeneutics, Art.in.Carnal Hermeneutics, Fordham University Press 2015.
2. _____. "Double hospitality: between word and touch." Journal for Continental Philosophy of Religion 1.1, 2019.
3. _____,Touch: Recovering our most vital sense. Columbia University Press, New York, 2021.
4. _____. "Anacarnation: recovering embodied life.Art. in " Anacarnation and Returning to the Lived Body with Richard Kearney. Routledge, 2023.
5. _____: eds. Hosting Earth: Facing the Climate Emergency. Taylor & Francis, 2024.
6. _____:"Touching trauma: Therapy, technology, recovery."Art. The Routledge international handbook of psychoanalysis, subjectivity, and technology. Routledge, 2024.

ب. المصادر الأجنبية العامة:

7. **Augustine**, and William John Sparrow-Simpson. The Letters of St. Augustine. Vol. 46. Macmillan, 1919.
8. _____, The Confessions of Saint Augustine, trans.by: E. B. Pusey, Createspace Independent Pub,2002
9. _____, On the Free Choice of the Will, trans.by: Peter King, Cambridge University Press,2010
10. _____, On the Holy Trinity, Trans.by: A. W. Haddan.E. Editions, 2018
11. **Bernard of Clairvaux,** Collection, Aeterrna Pressm,2016.
12. **Heidegger, Martin**. Being and time.Trans.by: John Macquarrie & Edward Robinson, Basil Blackwell,1985
13. **Husserl, Edmund**. Ideas Pertaining to A Pure Phenomenology and to A Phenomenological Philosophy, Second book: Studies in The Phenomenology of constitution. Trans.by: Rojcewicz,Richard, Kluwer Academic Publishers ,Vol. 3 , 1989.
14. **Kierkegaard, Søren.** The concept of dread.Trans.by: Walter Lowrie, Princeton, NJ: Princeton University Press, 1957.
15. **Nietzsche, Friedrich.** The Gay Science, Trans. by: Josephine Knockoff, Cambridge University Press, 2001.
16. **Taylor, Charles.** A secular Age. The Belknap Press of Harvard University Press, 2007.
17. **Plato:** complete works, Phaedo, Hackett Publishing Company, Inc, 1997.
18. **Ricoeur, Paul**. "Oneself as another, Trans.by: Kathleen Blamey, The University of Chicago Press,1992.
19. _____. On translation, Trans. By: Eileen Brennan, Routledge, 2007.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

20. **Banissy, Michael**. Touch Matters: Handshakes, Hugs, and the New Science on How Touch Can Enhance Your Well-Being, Chronicle Books, 2023.
21. **Bonsaksen, Tore et al**. "Associations between social media use and loneliness in a cross-national population: do motives for social media use matter?" Health psychology and behavioral medicine vol. 11,1 2158089. 1 Jan. 2023.
22. **Bourgeault, Cynthia**. The wisdom way of knowing: Reclaiming an ancient tradition to awaken the heart. John Wiley & Sons, 2003.
23. **Broch, Tuva Beyer and Saiba Varma**. " Touch in Digitalized Worlds: An Introduction." Art. In: Anthropology of Consciousness, Wiley Periodicals LLC on behalf of American,vol. 35(2), 2024.
24. **Casey, Edward S.** "Bringing Tactility Back: Review Essay to Richard Kearney on Touch, " Journal for Continental Philosophy of Religion 5.2 ,2023.
25. **Chidester, David**. "Symbolism and the senses in Saint Augustine." Religion 14.1, Academic Press Inc. (London) Ltd. 1984.
26. Classen, Constance. The deepest sense: A cultural history of touch. University of Illinois Press, 2012.
27. Fulkerson, Matthew. The First Sense: A philosophical Study of Human Touch. MIT press,2013.
28. Golaya S. Touch-Hunger: An Unexplored Consequence of the COVID-19 Pandemic. Indian Journal of Psychological Medicine, 43(4). 2021
29. Goodman, David, and Matthew Clemente, eds. The Routledge international handbook of psychoanalysis, subjectivity, and technology. Taylor & Francis, 2024.
30. Hausberger, Martine, et al. "A review of the human–horse relationship." Applied animal behaviour science 109.1 (2008)
31. "Louv, Richard, Last Child in the Woods: Saving our Children from Nature-Deficit Disorder, Algonquin Books of Chapel Hill,2008.
32. _____, Our Wild Calling: How Connecting with Animals Can Transform Our Lives—and Save Theirs, Algonquin Books,2019.
33. Mattens, Filip. "Perception, body, and the sense of touch: Phenomenology and philosophy of mind." Husserl Studies 25.2 (2009):99.
34. Paterson, Mark. The senses of touch: Haptics, affects and technologies. Routledge, 2020
35. Treanor, Brian, and James L. Taylor, eds. Anacarnation and Returning to the Lived Body with Richard Kearney,Taylor & Francis, 2023.
36. Tyack, P. L. Functional aspects of cetacean communication. In Cetacean Societies University of Chicago Press. 2000.
37. Ujitoko, Yusuke, et al. "Tracking changes in touch desire and touch avoidance before and after the COVID-19 outbreak." Frontiers in Psychology 13, 2022.

38. **Woody, William C.** "The Incarnation Changed Everything: Reflections on Kearney's Touch: Recovering Our Most Vital Sense. Crossing: The INPR Journal. 2023 .

ثالثاً: الموسوعات وقواميس الفلسفية الأجنبية:

39. **Audi, Robert**: " The Cambridge Dictionary of Philosophy, Cambridge University Press, Second Edition, 1999.
40. **Diethe, Carol**. Historical dictionary of Nietzscheanism, The Scarecrow Press, Third Edition, U.S.A, 2014.
41. **Ewegen, S. Montgomery.** "The Cambridge Heidegger Lexicon, Cambridge University Press , First published 2021.
42. **Freedman, David Noel**. The Anchor Bible Dictionary,Vol.3, New York: Doubleday, 1992.
43. Moran, Dermot, and Joseph Cohen. The Husserl dictionary, Continuum International Publishing Group, 2012.

رابعاً: المصادر المترجمة إلى العربية:

٣٨.إدموند هوسرل: فكرة الفينومينولوجيا، ترجمة: فتحي إنقزو، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولي، بيروت،٢٠٠٧.

٣٩.أرســـطو: كتاب النفس، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، المركز القومي للترجمة، الطبعة الثانية، القاهرة،٢٠١٥.

٤٠.أفلاطون: محاورات أفلاطون (أوطيفرون. الدفاع. أقريطون. فيدون)، محاورة فيدون، ترجمة: ذكي نجيب محمود، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة،٢٠٢٢.

٤١.أوغسطين: الاعترافات، ترجمة: الخوري يوسف العلم، الكتاب السابع، الفصل الخامس، المعهد الإكليريكي الفرنسيسكاني، الطبعة السادسة، القاهرة، ١٩٨٧.

٤٢.بليز بسكال: خواطر، ترجمة: أدوار البستاني، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت،١٩٧٢.

٤٣.رينيه ديكارت: مبادئ الفلسفة، ترجمة عثمان أمين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٣م.

٤٤.فريدريش نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، ترجمة: فيليكس فارس، مطبعة جريدة المصير، الإسكندرية، ١٩٣٨.

٤٥.هوميروس: الإلياذة، النشيد السادس، ترجمة: سليمان البستانى، مؤسسة هنداوي، القاهرة،٢٠١٢.

خامساً: المراجع العربية:

٤٦.تيموثي فريك : متون هرمس حكمة الفراعنة المفقودة، ترجمة: عمر للفاروق عمر، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى،القاهرة،٢٠٠٢.

٤٧.بسمة صالح سعيد الشيخي، إيمان موسى فرج الزوي. "الألعاب الإلكترونية وأثرها على العلاقات الأسرية–لعبة البُبجي نموذجاً." مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية ٣.٧، ٢٠٢٢.

٤٨.جيهان محمد علي: "الألعاب الإلكترونية العنيفة وتأثيرها في ظهور بعض المشـــكلات الاجتماعية: دراســـة ميدانية على عينة من طلاب المرحلة الإعدادية." المجلة العلمية لكلية الآداب–جامعة دمياط،٢٠٢٤ .

٤٩.خديجة سعيدي: مفهوم اللمس وعلاقته بجسد الآخر عند جاك دريدا، مجلة منيرفا، مج٤, ع٢ ، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، كلية الآداب و اللغات ، الجزائر، ٢٠١٨.

٥٠.صفاء عبد الحميد معجوز: "التأثير الإيجابى والسلبي للألعاب الإلكترونية على الفرد والمجتمع." مجلة الإسكندرية للتبادل العلمى، مجلد ٤٣ ، ٢٠٢٢.

٥١.صفاء عبد السلام جعفر: الوجود الحقيقي عند مارتن هايدجر، منشأة المعارف، الإسكندرية،٢٠٠٠.

٥٢.كمال حبيب، المسيحية والجسد، مطبعة دار العالم العربي، القاهرة،١٩٧٠.

٥٣.مجدي عزالدين، "فينومينولوجيا الجسد عند ميرلوبونتى، مجلة لوغوس، جامعة تلمسان،العدد ٩ ،٢٠١٨.

سادساً:المعاجم والموسوعات الفلسفية العربية

٥٤.أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل احمد خليل، منشورات عويدات ،ج(٣)، ط(٢)،بيروت،٢٠٠١ .

٥٥.جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، ٢٠٠٤.

٥٦.جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج(١)، ج(٢)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢.

٥٧.مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء للطبع والنشر، ط٥، القاهرة،٢٠٠٧

٥٨.قاموس المصطلحات الكنسية :
https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n-Ritual-Taks-Al-Kanisa/Dictionary-of-Coptic-Ritual-Terms/1-Coptic-Terminology_Alef/Aikoona

سابعاً: المواقع الإلكترونية عربية

٥٩.ماسك يعلن نجاح زرع شريحة دماغية لشخص ثالث: انتظروا المزيد بـ٢٠٢٥.
"https://ara.tv/1ql0s.

٦٠.ترامب وزيلينسكي: ردود الفعل تتوالى على "اللقاء العاصف
https://www.bbc.com/arabic/articles/c62zg5nv524o.

٦١.ماهي تقنية الواقع الافتراضي.
https://chameleontour.com/ar/%D9%87%D9%84-%D9%82%D9%85%D8%AA-%D8%A8%D8%AA%D8%AC%D8%B1%D8%A8%D8%A9-%D8%AA%D9%82%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A7%D9%82%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%81%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%B6%D9%8A/

مواقع إلكترونية أجنبية :

62. Online Etymology Dictionary
https://www.etymonline.com
63. Britannica, the Editors of Encyclopaedia. " St. Bernard of Clairvaux". Encyclopedia Britannica,
https://www.britannica.com/biography/Saint-Bernard-of-Clairvaux
64. Cambridge Dictionary ،Cambridge University Press ،
https://dictionary.cambridge.org/dictionary/english